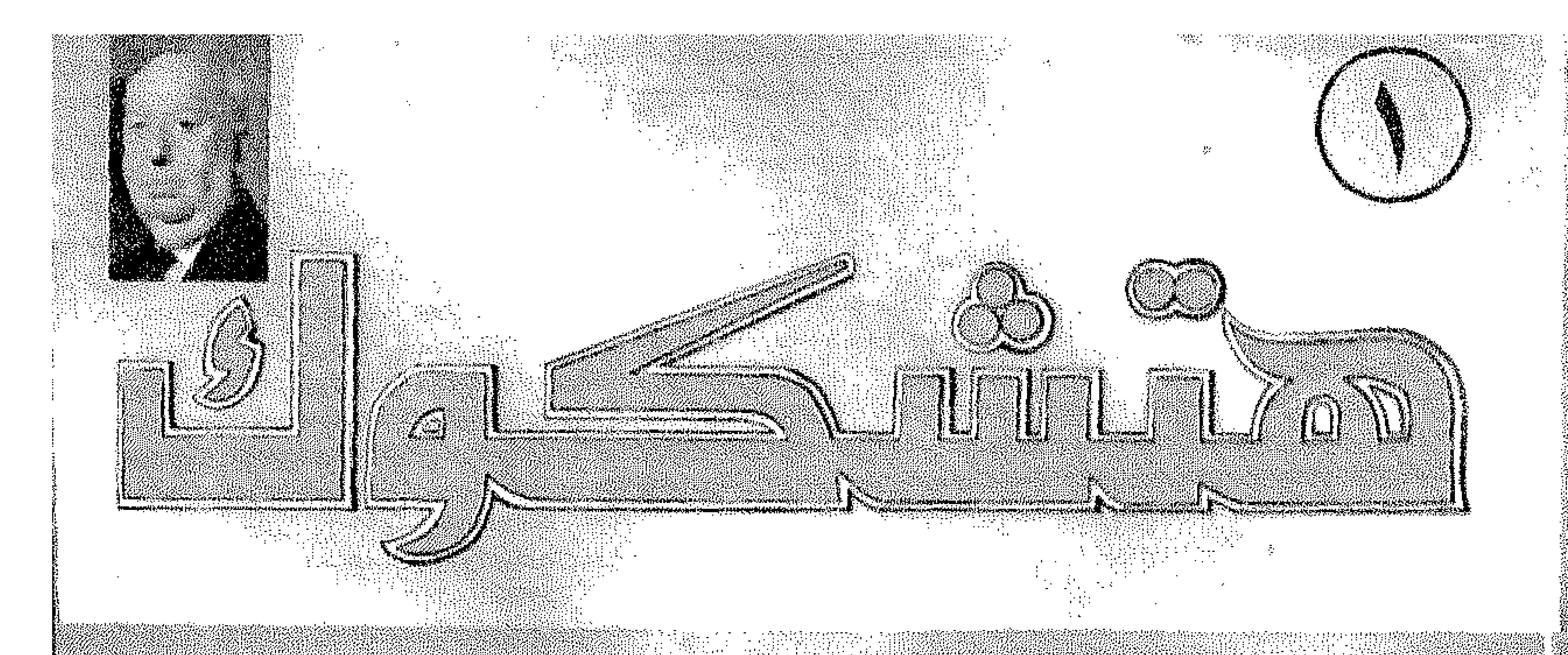
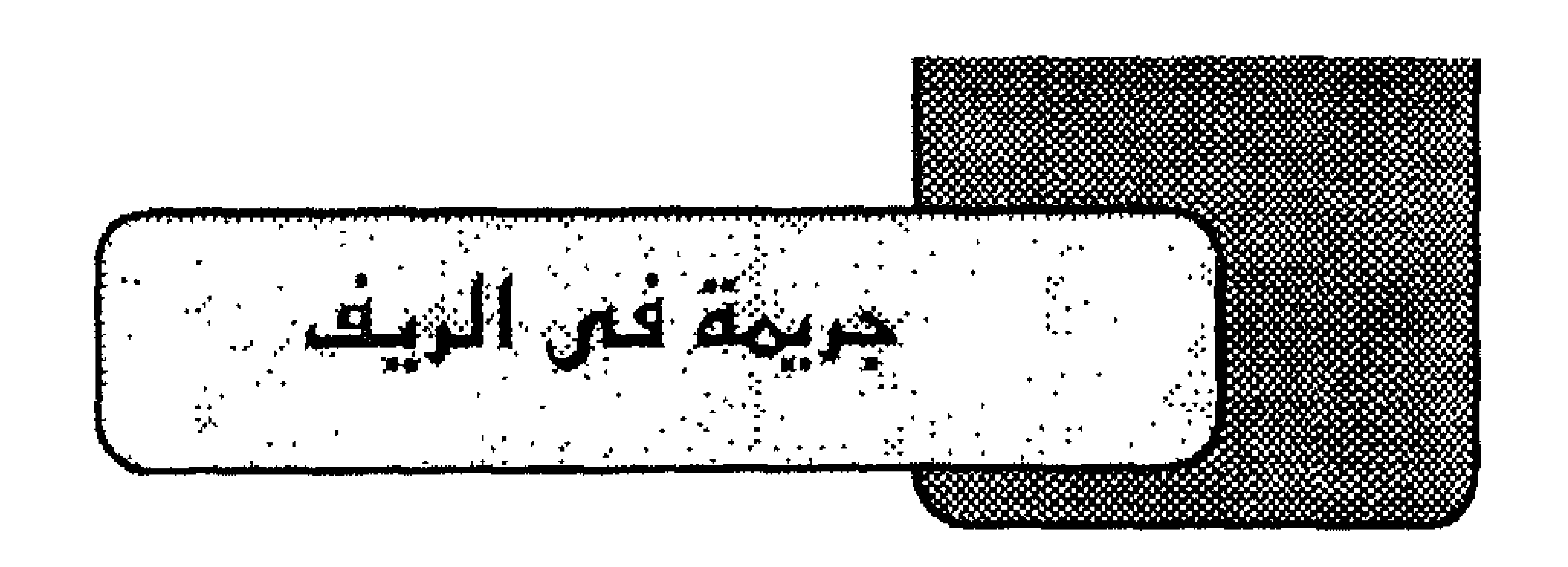


مسرح العرائس

مسرح العرائس
أو
الكسيح

تأليف : الفريد هتشكوك
ترجمة : محمد عبد المنعم جلال

المركز العربى للنشر والتوزيع
معروف اخوان
الأسكندريه ت ٨١٠٨٢٨
القاهرة ت ٧٤٣٦١١



جريمة في الريف

كان سير هنرى كليثننج ، الموظف الكبير السابق بإدارة إسكوتلانديارد يقضى كعادته أخيرا منذ إحالته إلى المعاش بضعة أيام فى ضيافة صديقة الكولونل بانترى وزوجته ، ويقع بيتهما على مشارف قرية سنت مارى ميد . وقد هبط الدرج على مهل فى الساعة العاشرة من صباح يوم السبت ، وكاد يصطدم على عتبة باب غرفة الطعام بمسز بانترى . وكانت السيدة الكريمة مندفعة خارج الغرفة ، وهى فى حالة كبيرة من الإضطراب والإنفعال على غير عادتها ومبادئها وعندما دخل سير هنرى كان الكولونل جالساً أمام المائدة وقد إحتقن وجهه أكثر من العادة ، ولكن صوته كان يشوبه الود كالعهد به دائماً ، وهو يحيى صديقه الحميم وخاطبه قائلاً :

- صباح الخير يا كليثننج .. صباح الخير .. الجو جميل اليوم .. إجلس ياصديقى وتفضل .

جلس سير هنرى بعد أن رد التحية . وبينما كان يتناول طبقاً من الطعام ويضعه أمامه إستطرد مضيفه يقول :

- إن دوللى شديدة الإضطراب اليوم .

سعل سير هنرى وقال فى لباقه نعم إننى أدركت ذلك .

ولكنه كان فى دهشة مع ذلك ، فإن مضيفته كانت معروفة بالهدوء والإتزان ، لا يتملكها الغضب والإنفعال بسهولة ..ثم إنه كان يعرف حق المعرفة إنها لا تتحمس أبداً لشيء فيما عدا البستنة .

عاد الكولونل يقول : إنها شديدة الاضطراب حقاً ، فقد سمعنا الآن خبراً هزها جداً .. فإن إحدى فتيات القرية ، وهى إبنة ايموت ، صاحب حانة « الخنزير الأزرق » .. إنك تعرفه ؟ ..

– آه ، نعم .

– حسناً .. إن إبنته ، وهى فتاة جميلة طبعاً (وكان الكولونل بانترى يبدو منزعجاً هو الآخر) .. نعم ، كنت أقول إن هذه الفتاة زجت بنفسها فى موقف حرج .. نعم ، حقاً .. إنها القصة الخالدة .. تناقشت فيها مع دوللى وليتنى ما فعلت ، فإن النساء يفقدون عقولهن فى هذا المجال .

فقد تحزبت دوللى لتلك الفتاة ، وقالت إن الرجال ذئاب الخ .. الخ .. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة خصوصاً فى أيامنا هذه ، فإن الفتيات يعرفن تماماً ما يفعلن وما يخاطرن به . والرجال الذين يلعبون بعقولهن ليسوا أوغاداً وبلا ضمير بالضرورة . ومن رأيى أن الشاب والفتاة متساويان فى المسئولية فى هذه الناحية .. وأنا أعرف الشاب ساندفورد .. إنه شاب أحمق ليس من هذا النوع الذى يجرى خلف النساء .. إذا فهمت ما أعنيه .

– هل هو الذى زج بهذه الفتاة فى هذه الورطة ؟

– يبدو ذلك .

وأسرع الكولونل يقول فى حذر :

– أنا نفسى لا أعرف شيئاً طبعاً ، ولكن هذا ما يقال فى القرية ، وأنت تعرف أن القيل والقال والشائعات التى تدور فى القرية تطير فوق أجنحة الريح .. وأنا لا أعرف شيئاً أكيداً كما قلت لك .. ولا أقفز إلى النتائج على الفور ، ولا ألقى التهم جزافاً كما تفعل دوللى .. والحق أن الرجال يجب أن يتوخوا الحذر ، وأن لا يتكلموا فى هذه المواضيع خبط عشواء .. وأنت تعرف ما سوف يجرى أكثر من أى شخص آخر .. أعنى التحقيق وكل الإجراءات التى تتعلق به .

– التحقيق .

نظر الكولونل إلى صديقه مليا ثم قال :

– ألم أقل لك ؟ .. إن الفتاة إنتحرت بأن ألقت بنفسها فى النهر .. وهذا هو السبب في كل هذه الضجة ..

هز سير هنرى رأسه وقال :

– إنها قصة قذرة .

– قصة قذرة طبعاً ، وأفضل أن لا أفكر فيها .. يا للفتاة المسكينة الساذجة !

إن أباها قاس جداً ، وأظن أنها لم تجد من نفسها الشجاعة لمواجهة غضبه .

وسكت لحظة قبل أن يختتم قائلاً : وهذا هو ما أثار إنفعال دوللى .

– أين غرقت ؟

– فى النهر ، بعد الطاحونة مباشرة ، حيث التيار شديد دائماً هناك ممر يؤدى إلى الماء وإلى الجسر والمفروض أنها ألقت بنفسها من فوقه . والواقع أننى أوثر أن لا أفكر فى هذا الأمر .

ولكى يبعد الكولونل هذه الحادثة البغيضة عن ذهنه نشر صحيفته ، وشرع يقرأ الأخبار المحلية .

ولكن المأساة القروية لم تحدث تأثيرا كبيراً فى سير هنرى . وعندما فرغ من تناول طعامه مضى إلى الشرفة ، وإضطجع فى مقعد مريح ، وأرخى قبعته فوق عينيه ، وغرق فى أوهامه الهادئة .

وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف عندما إقتربت منه الخادمة وقالت فى هدوء :

– معذرة ياسيدى . لقد جاءت مس ماربل ، وهى تريد أن تتحدث إليك .

– مس ماربل ؟

إعتــدل سير هنرى فى جلسته ، وأزاح القبعة عن عينيه شيئاً ما ، فقد فاجأه الأسم . كان يذكر مس ماربل جيداً ، ويذكر طباعها الظريفة كعانس هادئة ، ذات ذكاء خارق ، ونظر ثاقب . وتذكر نحو إثنتى عشرة قضية إستغلقت على الخبراء المختصين إستطـاعت هذه العانس العجوز أن تفك طلاسمها ، وتصل إلى مفاتحهـا الحقيقة .

وكان سير هنرى يحس من نحوها بإحترام كبير ، ومضى إلى اليت في خطوات واسعة وهو يتساءل عن السبب الذى دفعها إلى المجيء لزيارته .

كانت مس ماربل جالسة فى الصالون ، معتدلة القامة كعادتها دائماً ، ويجوارها سلة جميلة زاهية الألوان ، لا ريب أنها إشترتها من الخارج لكى تضع فيها حاجيات البيت ، وكانت تبدو على شيء من الإضطراب ، وقد توردت وجنتاها لفرط إنفعالها . وما أن دخل سير هنرى كليثنج حتى بادرته قائلة :

– يسرنى جداً أن أراك يا سير هنرى .. سمعت الآن فقط إنك مقيم هنا عند صديقيك .. وأرجو أن تلتمس لى العذر ..

قاطعها سير هنرى وهو ينحنى فى إحترام فوق اليد التى بسطتها له :

– ولم الإعتذار ؟ .. إننى على العكس مسرور برؤيتك .. ولكننى أخشى أن تكون مسر بانترى قد خرجت .

– أعرف أنها خرجت .. وقد رأيتها تتحدث مع فوتيت الجزار وأنا فى طريقى إلى هنا . وكان هنرى فوتيت شديد الإنزعاج بسبب كلبه .. وهو كلب مشاكس ولا أدرى لماذا يحب الجزارون هذا النوع من الكلاب .

قال سير هنرى فى رفق :

– إننى لاحظت ذلك حقاً .

وإستطردت مس ماربل تقول :

– يسرنى إننى أتيت وهى بالخـــارج ، لأننى أردت أن أراك أنت .. بسبب هذه القصة المحزنة .

سألها سير هنرى فى شىء من الحيرة :

– بسبب هنرى فوتيت ؟

ألقت مس ماريل إليه نظرة حافلة باللوم والعتاب وقالت :

– كلا ، كلا .. إنما كنت أشير إلى روز أيموت طبعاً .. هل علمت بما جرى لها ؟

أحنى سير هنرى رأسه وقال :

– لقد أخبرنى بانترى بما جرى .. إنها قصة محزنة جداً فى الواقع .

كان يشعر بالحيرة شيئاً ما ، فهو لم يفهم لماذا أقبلت مس ماربل لزيارته بخصوص روزايموت .

واضطجعت مس ماربل فى مقعدها ، وكان سير هنرى قد بقى واقفاً حتى هذه اللحظة ، فجلس على كثب منها . وعندما إستأنفت العانس الحديث قالت فى صوت جدى :

– لعلك تذكر ياسير هنرى إننا قمنا هنا أكثر من مرة بتلك اللعبة التى كانت تطـربنا كثيراً ، وهى إن أحدنا كان يعرض قضية غامضة ، ثم نحاول الإهتداء إلى مفتاحها . وقد كنت أنت كريماً معى ، وشهدت بأنه لا بأس بى فى هذا المجال .

صاح سير هنرى فى حماس :

– بل إنك تفوقت علينا ، وأبديت ذكـاءاً كبيراً ، بحيث إهتـديت إلى الكشف عن أسرارها دوننا جميعاً . وأتذكر إنك كنت تذكرين فى كل مناسبة قصة مشابهة ، تقولين إن أحداثها وقعت فى القرية ، وإنها هى التى هدتك إلى الحقيقة .

وكان يبتسم وهو يتكلم ، ولكن مس ماربل ظلت جامدة الأسارير وهى تقول :

– إن قولك هذا هو الذى شجعنى على المجىء لمقابلتك اليوم . وإننى أعلم إننى إذا قلت لك شيئاً .. حسناً .. أنت على الأقل لن تهزأ بى .

قال فى رفق :– لن يحدث هذا أبداً طبعاً .

– سير هنرى .. إن هذه الفتاة .. روزايموت .. لم تلق بنفسها فى النهر . وإنما قتلت .. وأعرف من الذى قتلها ..

لزم سير هنرى الصمت وقد إستبد به الذهول ثلاث ثوان ، وكانت مس ماربل قد تكلمت بكل هدوء ، كما لو كانت قد نطقت بشىء طبيعى تماماً . وصاح يقول عندما أفاق من ذهوله :

– ولكنك تقولين شيئاً خطيراً ..

أحنت رأسها مرارا احناءة خفيفة وقالت :

– إننى أعرف .. أعرف ذلك .. ولهذا أتيت لمقابلتك .

– هذه مكرمة منك . ولكن ليس أنا الذى يجب أن تقابليه يا آنستى

العزيزة ، فقد أصبحت اليوم مواطناً عادياً . يجب أن تذهبى إلى البوليس وإن تطلعيهم على ما تعرفين .

أجابت مس ماربل : – لا أظن إننى أستطيع أن أفعل ذلك .

– لماذا ؟

– لأنه ليس لدى .. ماذا أقول ؟ .. نعم أليس لدى أى يقين .

– تعنين أن لديك أحساساً بأنك تعرفين القاتل ؟

– يمكنك أن تقول ذلك إذا شئت . ولكن الأمر ليس كذلك فى الـواقع .. إننى أعرف ذلك فحسب ، ولكننى لو ذكرت للمفتش درويت الأسباب التى حملتنى على معرفته فإنه سوف يضحك فى وجهى على الفور ساخراً وإذا أردت الحق فإننى لن أستطيع لومه ، فإن من المستحيل أن يدرك ما يمكن تسميته بالمعرفة المتخصصة سألها سير هنرى وقد أطربه الأمر على الرغم منه :

– مثال ذلك : – لو قلت لك إننى أعرف ذلك بسبب رجل يدعى بيزجود باع لإبنة أختى لفتاً على أنه جزر منذ بضع سنوات ..

وسكتت ، وخيم صمت بليغ ، فقال سير هنرى فى تفكير وهو ينظر إلى مس ماربل فى إهتمام :

– أتعنين إنك تحكمين على الناس إستناداً على مثل هذا الموقف ؟ .

اعترفت مس ماربل قائلة .

– ذلك إننى أعرف الطبيعة البشرية ، ولا يمكن أن تفعل غير ذلك إذا أنت أقمت فى القرية مدة طويلة . والمهم هو أن أعرف هل تصدقنى أم لا .

وحدقت فيه مباشرة في هدوء ومن غير أن تطرف . ولكن وجنتيها توردتا أكثر من العادة وكان هذا كل شيء ..

وكان سير هنرى رجلاً خبر الحياة طويلاً ، وكان سريعاً دائماً فى إتخاذ قراراته دون أى تردد . ومع ان رد مس ماربل كان غريباً وغير معقول فقد عرف أنه يتقبله كما هو فقال فى صوت قوى :

– إننى أصدقك ، ولكننى لا أدرى ما دخلى فى كل هذا ، ولماذا تلجئين إلى ؟

– إننى فكرت فى الأمر مليا ياسير هنرى . من رأيى أنه لن يكون هناك أى داع لكى أذهب إلى البوليس بدون حقائق معينة ، وليس لدى منها أى شىء ، ولكننى قصدتك لكى تهتم بالقضية أنت نفسك ، وأنا واثقة أن المفتش درويت سيسره ذلك طبعاً ، وإذا تقدم التحقيق وثبت لهم أن روزايموت لم تنتحر ، وإنما قتلت ، فإن الكولونل ملشيت ، مدير البوليس ، سيكون عجينة لينة بين يديك .

ونظرت مس ماربل إليه فى شبه توسل فقال سير هنرى : وما هى العناصر التى أتيتينى بها لكى تسمح لي بالعمل على الأساس الذى تقولين ؟

– كنت أنوى أن أكتب لك أسماً .. إسم القاتل ، على ورقة ، وإن أعطيك اياها ، وإذا رأيت أثناء التحقيق أن صاحب هذا الإسم لا دخل له فيما حدث فسيكون فى ذلك الدليل على إننى أخطأت .

وسكتت لحظة ، ثم أردفت وهى ترتجف :

– إنه لأمر فظيع .. فظيع جداً .. لو أن بريئاً شنق ..

أجفل سير هنرى وقال :

– ولماذا بحق السماء ؟

رفعت مس ماربل إليه وجهها قلقاً وقالت :

– ربما أكون مخطئة .. وإن كنت لا أظن ذلك . إن المفتش درويت رجل ذكى حقاً ، ولكن أصحاب الذكاء المحدود شديدو الخطر أحياناً ، فهم لا يواجهون الأمور كما يجب ..

نظر سير هنرى إليها فى فضول .

وفتحت مس ماربل حقيبتها اليدوية بيد مضطربة ، وأخرجت منها دفترا صغيرا ، إنتزعت منه ورقة سطرت عليها أسما فى عناية تامة ، ثم طوت الورقة مرتين وناولتها لسير هنرى .

وسارع هذا الأخير ففتحها وقرأ الأسم ، ولكنه لم يستدل منه على شىء . غير أنه رفع حاجبيه شيئاً ما مندهشاً ، ثم ألقى نظرة إلى مس ماربل ، وطوى الورقة ووضعها فى جيب صديره وتمتم :

- حسن جداً .. حسن جداً .. ولكن يبدو لي انها قصة غريبة لم أسمع بمثلها من قبل .

إجتمع سير هنرى والكولونل ملشيت والمفتش درويت فى قسم البوليس بقرية سنت مارى ميد .

كان الكولونل ملشيت مدير البوليس . رجلا قصير القامة ، عسكرى الهيئة إلى حد بعيد ، في حين كان المفتش دوريت طويل القامة بدين الجسم حسن الإدراك

وقال سير هنرى كليثنج وعلى وجهه إبتسامته المتألقة لا أدرى حقا لماذا أزج بأصبعى فى هذه القضية ولا أدرى أبداً لماذا أهتم بها ؟

قال الكولونل : - يسرنا أن تعمل معنا يا صديقى العزيز .. ان هذا شرف كبير لنا .

وقال دورين بدوره : - هذا شرف كبير لنا حقاً يا سير هنرى .

ولكن مدير البوليس كان يحدث نفسه قائلاً ان الرجل المسكين يكاد يموت سأماً فى بيت آلى بانترى ، بين الكولونل العجوز الذى يقضى كل وقته فى التذمر ضد الحكومة ، وبين زوجته الثرثارة التى لا تكف عن الحديث .

أما المفتش درويت فقد ندم على أنه لا يواجه مشكلة عويصة ، وعلى أن الحظ إذا كان قد ساعده وأرسل إليه واحدا من أكبر عقول إنجلترا كما سمع فإنه يستطيع أن يقدم له إلا هذه القضية البسيطة .

وقال مدير البوليس بصوت مسموع معبراً عن ندم المفتش :

– ولكننى أخشى أن تكون قضية عادية ليس فيها جديد ، فقد حسبنا أول كل شىء أن تلك الفتاة إنتحرت ، فقد كانت تنتظر مولوداً ، ولكن طبيبنا الدكتور هايدوك رجل دقيق جداً ، وقد لاحظ على كتفيها كدمات تدل على أنها حدثت قبل الموت مباشرة ، كما لو أن أحدا أمسكها من كتفيها فى قوة لكى يلقى بها فى النهر .

– هل كان ذلك يستدعى قوة كبيرة ؟

– لا أظن ذلك . لم يكن هناك أية مقاومة ، ولم تكن الفتاة تتوقع ذلك بكل تأكيد . كانت تجتاز جسرا من الخشب لا حواجز له ، وليس أسهل من دفع أى شخص إلى النهر من فوقه بغتة .

– هل أنت واثق إن المأساة وقعت هناك ؟

– نعم . وقد وجدنا غلاماً فى الثانية عشرة من عمره يدعى جيمى براون كان واقفاً فى الغابة ، فى الناحية الأخرى من الشاطىء ، وقد خيل له أنه سمع صرخة حادة ، أعقبها صوت سقوط جسم فى الماء . وكان الظلام قد هبط بحيث أصبح من العسير تمييز أى شىء . ومع ذلك فإن الغلام إستطاع أن يرى شيئاً يطفو على سطح الماء ، فأسرع لكى يطلب النجدة . وتمكنوا من إنتشال الفتاة ، ولكنها بعد أن أصبحت جثة هامدة .

هز سير هنرى رأسه وقال :

– ألم ير الغلام أى شخص آخر فوق الجسر ؟

– كان الظلام قد خيم كما قلت لك . ثم أن الجو كان مشبعاً بالضباب فوق النهر وتحت الأشجار فى تلك الناحية . وقد استجوبته لكى أعلم ان كان قد رأى أحداً فوق الجسر قبل الحادث أو بعده ، ولكنه أكد لى عن هذه النقطة إنه لم ير أحداً .. ومهما يكن فقد إقتنع لأول وهلة كما إقتنع الجميع بأنها إنتحرت بأن ألقت بنفسها فى الماء .

وقال درويت وهو يتحول نحو سير هنرى :

– وقد حسبنا أنها إنتحرت حتى اللحظة التى عثرنا فيها على الورقة .

وقال الكولونل ملشيت :

– نعم . وقد عثرنا عليها فى جيب الفتاة . كانت مكتوبة بقلم رصاص من النوع السميك الذى يستعمله الفنانون ، وكانت مبتلة جداً ولككنا تمكنا من قراءتها على الرغم من ذلك .

– وماذا كان نصها ؟

أوه ، كانت رسالة قصيرة جداً جاء بها : لا بأس سألتقى بك فوق الجسر فى الثامنة والنصف مساء .. وكان موقعاً عليها بحرفى ر . س ، وهما الحرفان الأولان من إسم ساندفورد الشاب . وقد سمع

الغلام الصرخة وصوت سقوط الجسم فى الماء بعد الثامنة والنصف بقليل .

تدخل الكولونل ملشيت فقال : – هل سبق لك أن رأيت هذا المدعو ساندفورد . إنه عاد هنا منذ نحو شهر ، وهو واحد من المهندسين الشبان الذين تخرجوا فى المدرسة الحديثة وهو يشيد بيتاً لآل النجتون ، والله وحده يعلم كيف سيكون شكله ولا كيف سيكون مفروشاً .. منضدة كبيرة فى غرفة الطعام عليها بللورة ، وحولها مقاعد من الصلب مكسوة قواعدها بالجلد .. حسنا ، ذلك لا يعنينى على كل حال ، ولكنه يرينا النوع الذى ينتمى إليه هذا المدعو ساندفورد إنه شاب ثورى لاخلق له ولا أخلاق .

قال سير هنرى فى لهجة حالمة : – ان الغواية جريمة قديمة وإن كانت لا تصل فى مستواها إلى جريمة القتل .

نظر الكولونل ملشيت مليا إلى صديقه وقال : – تماماً ... تماماً ...

وتكلم المفتش عندئذ فقال : – من رأيى يا سير هنرى أنها قصة بغيضة جداً ، ولكنها على الرغم من ذلك بسيطة جداً . لقد زج الشاب ساندفورد بالفتاة فى موقف عسير بحيث حملت منه . وهو مخطوب لفتاه أخرى فى لندن لو إنها علمت بما جرى لإنهارت مشاريعه تماماً . ولهذا تواعد مع روز لكى يلتقى بها فوق الجسر ، ثم فاجأها من

الخلف ، وألقى بها إلى النهر . إنه وغد كبير يستحق ما سوف يقع له ..
هذا هو رأيى فى هذه القضية .

لزم سير هنرى الصمت دقيقة أو دقيقتين . أحس منذ البداية أن هناك تحيزاً ضد الشاب وضد آرائه التقدمية ، ولا عجب فإن أى شاب مجدد لا يمكن أن يجد شعبية ما فى قرية محافظة كقرية سنت مارى ميد . وقال أخيراً : - أظن أنه ليس هناك أى شك فى أن ساندفورد هو أبو الطفل الذى كان يجب أن يولد .

أجاب درويت :

- لا شك على الإطلاق . لم تكن روز تخفى ذلك على كل حال ، وأبوها نفسه كان يجهر بذلك ، فقد كانت تعتقد أنه سيتزوجها ... هاها ... يتزوجها ... هو ؟

راح سير هنرى يفكر وهو يستمع إلى المفتش الشهم ويقول لنفسه :

- يا إلهى ! .. يخيل لى أننى وقعت فى قلب مأساة فيكتورية .. الفتاة الجاهلة والشاب الشرير القادم من لندن والأب المهان فى شرفه . ولا يبق لكى تكمل القصة إلا العاشق القروى الوفى المخلص إلى أبعد حدود الوفاء والإخلاص . حسناً يبدو أنه قد حان الوقت لكى أختم به .

وتكلم فى صوت مسموع فقال : - ألم يكن لهذه الفتاة شاب من أهل القرية يوليها إهتماماً خاصاً ؟ ...

أجاب المفتش : – هل تعنى جو ايليس ؟؟ ... إنه شاب طيب ... مهنته نجار ... آه ... لو إنها تعلقت بجو هذا .

ووافقه الكولونل ملشيت على ذلك بأن قال فى لهجة خشنة :

– لا يجب أن ينظر أحد إلى طبقة أعلى من طبقته .

وسألهما سير هنرى :

– وكيف قابل جو أيلليس هذا الموقف من حبيبته ؟

أجاب المفتش :

– مامن أحد يدرى ، فإن جو شاب هادىء ، كتوم ،وكل ما كانت تفعله روز كان جميلاً فى عينيه . كان مفتوناً بها إلى درجة كبيرة ، وإقتصر دوره على الأمل والرجاء فى أن تعود إليه ذات يوم .

قال سير هنرى : – أحب أن أراه .

قال الكولونل ملشيت وهو ينهض :

– ما أسهل هذا . سنذهب لإستجوابه ، فلا يجب أن نهمل شيئاً . وكنت أظن أنا نفسى أننا نستطيع أن نستجوب ايموت أولاً ، ثم ساندفورد ، واخيراً أيلليس ، فهل يناسبك هذا يا كليثننج ؟

أجاب سير هنرى بأنه يوافقه على هذا تماما .

ووجدوا توم ايموت فى حانة الخنزير الأزرق كان طويل القامة ، مكتنز الجسم فى الخمسين من عمره ، بهيمى الوجه متهرب العينين . قال :

- يسرني أن أراكم أيها السادة . صباح الخير ياكولونل . تفضلوا هنا لن يزعجنا أحد هنا . هل أستطيع أن أقدم لكم شيئاً أيها السادة ؟ كلا . كما تشاءون . هل أتيتم بسبب أبنتى المسكينة روز .. ؟ كانت فتاة طيبة دائماً . حتى جاء هذا الخنزير . معذرة ولكن ذلك الشاب لا يمكن أن يكون الا خنزيرا حسناً ،، كنت أقول إنها كانت فتاة طيبة حتى جاء هذا الشاب .. وكان قد وعدها بالزواج .. ولكننى ساقاضيه ألقى بأبنتى المسكينة فى النهر هكذا هذا الخنزير القاتل إنه وسم اسرتنا بالعار .. يا لأبنتى المسكينة .

سأله ملشيت فى لهجة حادة : - هل قالت لك إبنتك صراحة إن مستر ساندفورد هو المسئول عن حالتها . ؟

- نعم .. وفى هذه الغرفة بالذات .

سأله سير هنرى فى رفق : - وماذا قلت لها ؟

- لإبنتى ؟

- نعم . ألم تهددها بأن تطردها من البيت مثلاً ؟

- لقد هزنى النبأ فى بادىء الأمر ، وهذا أمر عادى ، أليس كذلك ؟ وأنا واثق إنك متفق معى فى هذه النقطة . ولكننى لم أهددها بالطرد من البيت كلا بكل تاكيد وما كنت لأفعل شيئاً كهذا أبداً (وتظاهر بالسخط الشديد) كلا . لم أزد عن أنى قلت لها إنه يجب أن يصلح ما

فعل ، وإلا فسيكون له شأن معى ومع القضاء ، يا إلهى .. أننى قلت إنه لابد أن يدفع إذا لم يكن ينوى أن يصلح ما فعل .

وهوى بيده الضخمة فوق المنضدة وسأله مدير البوليس :

– متى رأيت إبنتك لآخر مرة ؟

– أمس فى ساعة الشاى .

– كيف بدت لك عندئذ ؟

– حسناً . كعادتها . لم إلحظ شيئاً . لو كنت أعلم . قال المفتش فى حدة :

– ولكنك لم تكن تعلم .

ومن غير كلمة أخرى نهض الرجال الثلاثة مرة واحدة وقال سير هنرى فى تفكير وهم يسيرون فى الشارع فى صمت :

– إننى لا أشعر بأى إرتياح لهذا المدعو أيموت .

– إنه وغد ، وما كان ليتردد عن تهديد ساندفورد وإبتزاز ماله ، لو أنه وجد الفرصة لذلك .

وكانت زيارتهما الثانية للمهندس الشاب . ولم يكن ركس ساندفورد يشبه أبداً الصورة التى رسمها سير هنرى عنه ، فقد كان شاباً وسيماً طويل القامة ، نحيل الجسم ، عينان زرقاوان حالمتان ، وشعر مشعث طويل أكثر من اللازم ، وله صوت أقرب إلى صوت النساء .

قام الكولونل بواجب التعارف ، وبعد أن ذكر للشاب سبب زيارتهم ، طلب منه أن يدلى إليهم ببيان عن حركاته وتصرفاته فى الليلة السابقة وقال : – وأرجو أن تفهم أنه لا حق لى حتى الآن فى أن أرغمك على الكلام وإن كل ما ستقوله لى قد يتخذ ضدك . أريد أن تفهم هذا جيداً .

تمتم المهندس الشاب : – إننى .. إننى لا أفهم ..

ولكنك فهمت على كل حال أن روز أيموت غرقت فى الليلة الماضية .

– أوه .. هذا فظيع .. فظيع جداً .. لم أغمض عينا طوال الليل ، ولم أفعل شيئاً اليوم ، أشعر بأننى مسئول .. مسئول تماماً ..

وتخلل شعره بأصابعه ، وإستطرد يقول وهو فى حالة يرثى لها :

– لم تكن لى أية نوايا سيئة . ما كنت لأظن أبداً .. ما كنت لأتصور إنها ستأخذ الأمور هكذا . وجلس أمام منضده ودفن رأسه بين يديه .

– هل يجب أن أفهم إنك ترفض أن تقول لنا أين كنت فى الساعة الثامنة والنصف من مساء أمس .

– كلا .. كلا .. كلا بالتأكيد .. كنت فى الخارج ..

فقد خرجت لكى أقوم بجولة .

– هل كنتا متواعد مع روز ايموت ؟

– كلا .. خرجت بمفردى فى جولة كبيرة فى الغابة .

– إذن كيف تفسر هذه الورقة التى عثرنا عليها فى جيب الميتة ؟

وقرأ المفتش درويت نص الرسالة فى صوت جاف ثم قال :

– هل تنكر إنك كتبت هذه الرسالة يا مستر ساندفورد ؟ .

– كلا .. كلا .. إنك على حق .. أنا الذى كتبتها . فقد طلبت روز أن ألتقى بها . ولم أدر ماذا أفعل فكتبت لها هذه الرسالة .

قال المفتش فى شىء من الرضا : آه .. هذا أفضل . أحتج المهندس فقال فى صوت حاد :

– ولكننى لم أذهب إليها .. لم أذهب . أحسست بأنه لا يجب أن أراها . كان فى نيتى أن أكتب لها من لندن ، وأن أتخذ بعض الإجراءات .

– هل كنت تعرف أنها كانت تنتظر مولوداً تتهمك بأنك أبوه .

أطلق ساندفورد تنهيده حادة ، ولكنه لم يجيب ، فسأله درويت فى إصرار :

– هل هذا صحيح ؟ .

أجاب الشاب فى صوت أجش :

– أعتقد ذلك .

– آه .

ولم يخف المفتش إرتياحه وقال : – لنعد الآن إلى جولتك .. هل رآك أحد ؟

– لا أعلم . لا أظن ذلك . لم ألتق بأحد على قدر ما اذكر .

– هذا أمر مؤسف لك .

– ماذا تعنى ؟

ونظر ساندفورد إلى المفتش بعينين دهشتين وإستطرد : – ما دخل جولتى فى هذا الموضوع .. ؟ وهل تغير حقيقة أن روز إنتحرت غرقا ؟

صاح المفتش فى إبتصار : – إنها تغير كل شىء ، إن روز لم تنتحر يا مستر ساندفورد وإنما أغرقت عمداً .

– أغر ..

ومرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يتحقق المهندس من بشاعة الأمر وصاح : – ياإلهى .. ولكن .. وتكوم على مقعده مصعوقاً .

وأتى الكولونيل ملشيت بحركة لكى ينهض وقال فى غلظة :

– هل تفهم الآن يا سندفورد ، لا يجب أن تغادر هذا البيت فى الوقت الحاضر .

وعقب هذا التهديد المستتر خرج الرجال الثلاثة . وتشاور المفتش والمدير بالنظر وقال المفتش :

– هذا يكفى . أليس كذلك ياسيدى ؟

– نعم .. لم يعد أمامنا إلا إستصدار أمر من النيابة بالقبض عليه .

أطلق سير هنرى صيحة مكتومة وقال : معذرة .. إننى نسيت قفازى .

وعاد إدراجه سريعاً فإذا بساندفورد مكانه لم يتحرك وقد راح ينظر أمامه في غباء .

وقال سير هنري : - إنني عدت لكي أقول لك شخصياً أنني سأبذل كل جهدي لمساعدتك . ليس لي الحق في إن أكشف لك عن السبب الذي يحدوني إلى الإهتمام بأمرك . ولكنني أريد أن تذكر لي في إيجاز بقدر المستطاع ما دار بينك وبين الصغيرة روز بالتمام .

- كانت جميلة جداً . جميلة جداً وفاتنة جداً و .. وهي التي سعت خلفي . وأقسم لك إن هذا هو ما حدث . لم تتركني هادئاً لحظة واحدة . وقد أحسست بالوحدة في هذه القرية التي كرهني فيها الجميع . ولما كانت فائقة الجمال . ولما بدا لي أنها تفهم كل ما يتعلق بهذا .. وأنت تفهم طبعاً ما أعنيه (وتحشرج صوته ، ورفع عينين متوسلتين إلى سير هنري الذي ظل جامداً الأسارير ، وإذ رأى منه ذلك سعل في إرتباك وإستطرد) ثم وقع ما وقع ، وأردت أن أتزوجها . ولم أدر ماذا أفعل . ولي خطيبة في لندن إذا علمت بهذه القصة فسينتهي ما بيننا ، ولن تفهم شيئاً ، وعندئذ تصرفت تصرفاً غير سليم ففررت من امام روز كالجبان .. كما قلت منذ لحظات . خطر لي أن أعود إلى لندن ، وأن أرى محامي ، وأعرض عليها مبلغاً أي مبلغ . لم أكن أدري .. يا إلهي . ما كان أغباني .. والآن كل شيء واضح تماماً .. ضدي .. ولكن لا ريب إنهم مخطئون . فلماذا لا تكون إنتحرت .. ؟

– هل حدث ان هددتك بأن تقتل نفسها ؟

هز ساندفورد رأسه وقال :

– أبداً .. من رأيى أن ذلك لم يكن من طبعها .

– هل تعرف شيئاً عن شخص يدعى جو إيلليس ؟

– النجار .. ؟ إنه شاب شريف من أهالى القرية . محدود الذكاء شيئاً ما ، ولكنه مفتون جداً بروز .

سأله سير هنرى : – ألم يكن يشعر بالغيرة ؟

– أظن إنه كان يشعر بها قليلاً ولكنه كان من طينة أخرى ، ولا ريب أنه كان يتألم فى صمت .

– حسناً . أشكرك .. يجب أن أغادرك الآن .

ولحق سير هنرى بزميليه وقال : أشعر أنى يجب أن أرى ذلك الشاب الآخر إيلليس قبل الشروع فى أى شىء بصفة نهائية ، فإنه ليكون خطأ فظيعاً إذا القيتما القبض على شخص لاتلبث براءته أن تظهر . ومهما يكن فإن الغيرة دافع قوى للقتل . ودافع كثير الشيوع كذلك .

قال المفتش : هذا صحيح . ولكن المدعو جو أيلليس ليس من هذا النوع . إنه لا يؤذى ذبابة ، وأظن أن ما من أحد قد رآه أبداً غاضباً . ولكننى أرى مثلك أن من الأوفق أن نمضى إليه ونسأله أين كان فى الليلة

الماضية لاريب أنه موجود الان فى مسكنه إنه يقيم عند مسز بارتليت ، وهى أرملة باسلة تقوم بغسل الثياب لأهالى القرية من وقت لآخر .

وكان البيت الصغير الذى مضوا إليه بيتاً نظيفاً إلى حد يدعو إلى العجب ، وفتحت لهم الباب امرأة طويلة القامة ، بدينة الجسم ، ذات وجه جذاب ، وعينين زرقاوين صافيتين .

وخاطبها المفتش درويت قائلاً :

– صباح الخير يا مسز بارتليت .. هل جو إيلليس موجود .. ؟

أجابت المرأة ": – إنه عاد منذ نحو عشر دقائق . ولكن تفضلوا بالدخول أيها السادة .

وتقدمتهم وهى تمسح يديها فى مئزرتها إلى غرفة صالون صغيرة مزدحمة بطيور مختلفة محنطة وتحف صينية شتى وأشياء أخرى كثيرة . وأسرعت تقدم لهم المقاعد . وبعد أن نقلت منضدة صغيرة من مكانها أسرعت خارجة ونادت وهى على عتبة الباب :

– جو .. أقبل ثلاثة رجال لزيارتك .

وأجابها صوت من آخر البيت يقول :

– لحظة واحدة ريثما أغسل يدى .

إبتسمت مسز بارتليت فى إرتياح ، وقال الكولونل ملشيت :

– تعالى يامسز بارتليت وإجلسى .

قالت المرأة وقد راعها أن تجلس فى غرفتها بالذات مع زائريها :

– أوه ، كلا يا سيدى .. لن أجرؤ أبداً ..

ولم يلحف الكولونل عليها ، وإكتفى بأن قال فى غير اكتراث :

– هل أنت راضية بسكنى جو إيلليس ؟

– ليس هناك من هو أفضل منه ياسيدى .. إنه شاب هادىء جداً حقاً . لا يفرط فى الشراب أبداً ، ويحب عمله كل الحب . ويحاول أن يكون خدوماً فى البيت . إنه هو الذى ركب هذه الرفوف ، وقد ركب غيرها فى المطبخ أيضاً . وآلاف الأشياء الصغيرة التى ينجزها فى البيت يقوم بها عن طيب خاطر ، ويكاد لا يقبل حتى كلمة الشكر . آه ياسيدى . إن الذين على غراره قليل فى أيامنا هذه .

قال ملشيت فى مرح : – ما أسعد الفتاة التى ستتزوجه ،، ألم يكن مغرماً بتلك الفتاة المسكينة روز ايموت ؟

تنهدت مسز بارتليت وقالت : – لقد كدرنى هذا الأمر .. إنه كان يعبد التراب الذى تطؤه بقدميها ، فى حين أنها لم تكن تحفل به ؟

– وأين يمضى جو امسياته يامسز بارتليت ؟

– هنا فى العادة ياسيدى. أحياناً يقوم ببعض الإصلاحات للغير لزيادة دخله ، وأحياناً يدرس إمساك الدفاتر عن طريق المراسلة .

- آه ، حقا ؟ - هل كان موجودا هنا مساء أمس ؟

- نعم ياسيدى .

تدخل سير هنرى فسألها فى حدة :

- هل أنت واثقة ؟

تحولت المرأة نحوه وقالت :

- كل الثقة ياسيدى .

- ألم يخرج فى نحو الثامنة والنصف مثلاً ؟

ضحكت مسز بارتليت ضحكة مرحة وأجابت :

- أبداً . إنه فرغ من تركيب الرفوف بالمطبخ وساعدته فى تركيبها وقد أخذ منا هذا العمل طوال الأمسية تقريباً.

نظر سير هنرى إلى وجهها الهادىء المبتسم ، ولأول مرة خامره الشك . وبعد لحظة دخل جو ايلليس الغرفة .

كان طويل القامة ، عريض الكتفين ، ذا عينين زرقاوين خجولتين ، ترسم على شفتيه ابتسامة حلوة .. كان مثال العملاق الظريف الحليم الطيب القلب . توارت مسز بارتليت فى هدوء ، وألقى ملشيت سؤاله الأول فقال : - إننا نحقق فى موت روزايموت . هل تعرفها ياايلليس ؟

- نعم .

وتردد لحظة ثم تمتم يقول : - كنت أرجو أن أتزوجها ذات يوم ... مسكينة روز !

– هل كنت تعلم بما جرى لها ؟

– نعم .

وإرتسمت فى عينيه نظرة غضب وإسطرد :

– وقد تخلى عنها ، وكان ذلك خيراً لها على كل حال ، فما كانت لتسعد معه لو إنها تزوجته . كنت أتوقع أن تعود إلى عندما حدث هذا ، ولو أنها فعلت لتزوجها ...

– على الرغم من ...– لم يكن الذنب ذنبها ، فقد أدار رأسها بوعوده الحلوة وكل شىء . أوه ! أنها أطلعتنى على كل شىء ، ولم يكن فى نيتها أن تنتحر غرقاً بكل تأكيد ، فهو لم يكن ليستحقها .

– أين كنت فى الساعة الثامنة والنصف من مساء أمس يا ايلليس ؟

وتسائل سير هنرى إذا كان قد توهم ذلك ، أو إذا كان قد رأى حقاً ظلا من الإرتباك في الرد السريع ... الذى جاء بأسرع مما يجب فقد قال ايلليس : – كنت هنا أقوم بتركيب بعض الرفوف فى المطبخ من أجل مسز بارتليت . سلها وستقول لك ذلك .

قال سير هنرى يحدث نفسه : « إنه سارع بالرد فى حين إنه رجل بطىء ، يفكر فى بطء ، ومع ذلك فقد رد بربباطة جاش ، وإعتقد أنه أعد رده مسبقاً » .

ولكنـهلم يلبث أن عنف نفسه قـائلاً وهو يتهم خيالـه : « ولكن لا .. إننى أتوهم أشياء ... نعم ، حتى هذه الومضة التى لمعت فى عينيه الزرقاوين وهو ينطق بكلماته » .

وألقى رجل البوليس عليه بضع أسئلة أخرى أجاب جو عليها ، ثم إنصرف الرجال الثلاثة . ولكن سير هنرى تعلل بحجة ما ، ومضى إلى المطبخ . وكانت مسز بارتليت منهمكة أمام الفرن ، وتحولت إليه وعلى شفتيها إبتسامة حلوة . وكانت هناك رفوف جديدة مركبة فى الحائط ، ولم يكن تركيبها قد تم بعد ، كما كانت أدوات النجارة وبقايا الخشب لا تزال ملقاة فوق الأرض .

– أهذه هى الرفرف التى ركبها ايلليس أمس ؟ ... لعمرى أن جو هذا نجار بارع حقاً .

ولم يكن فى عينى المرأة أى خوف أو قلق :

أتراه قد تخيل الخوف الذى رآه فى عينى ايلليس ؟ ... طبعاً لا . لقد إرتسم ظل من الخوف فى عينى الشاب فعلا ، وعاد يقول محدثا نفسه « يجب أن أجلو هذا السر » .

وإستدار نصف دورة لكى يخرج من المطبخ ، وإصطدم بعربة أطفال ، فأسرع يقول : – أرجو أن لا أكون قد ايقظت الوليد .

ولكن مسز بارتليت ضحكت ضحكه مرحة وقالت :

– أوه ، كلا ياسيدى . ليس لدى أطفال ... وهذا أمر مؤسف . إننى أستخدم هذه العربة فى نقل الغسيل وإعادته إلى أصحابه .

– آه . فهمت .

وأمسك عن الكلام وعاد أدراجه بدافع غريب وقال :

- مسز بارتليت ، إنك كنت تعرفين روز ايموت .. فما رأيك فيها صراحة ؟

نظرت إليه فى فضول وقالت : - لقد كانت طائشة يا سيدى ، ولكنها ماتت الآن ، ولا أحب أن أتكلم بسوء عن الموتى .

- ولكن يدفعنى إلى هذا السؤال سبب وجيه .. وجيه جداً .

تكلم سير هنرى بلهجة مقنعة ، وبدا إن المرأة تزن الأمر جيداً ، ونظرت إلى وجه محدثها فاحصة ، ثم قالت فى هدوء ، وقد إستقر منها الغرم : كانت فتاة غير صالحة ، ولكننى ما كنت لأقول هذا أمام جو ، فقد كان المسكين كلفا بها جداً . إن هذا النوع من النساء يعرف كيف يلعب بعقول الرجال ، وهذا عمل معيب ، ولا شك إنك تفهم ما أقصده يا سيدى .

نعم ، كان سير هنرى يفهم ... كان الشباب الذى على شاكلة ايلليس كثيرون ، ومن السهل أن يقعوا فى الحب ، وهم على درجة كبيرة من السذاجة ، ولكن إذا ما صدموا فى شعورهم نتيجة إكتشافهم الخيانة فإنه يمكن أن تتملكهم العنف والعنف الشديد .

وغادر البيت وهو يشعر بالحيرة والقلق ، فقد إصطدم بعقبة كبيرة ، ذلك أن جو ايلليس قضى الأمسية كلها فى البيت فى تركيب الرفوف ، وبقيت مسز بارتليت بجواره ، فماذا يفعل ؟ .. هل يستطيع أن يكذب

الحقائق ؟ لم يكن هناك أى شىء يثير الشك اللهم إلا تلك السرعة التى رد بها جو ايلليس ، وكأنه يعيد درساً حفظه عن ظهر قلب .

وقال ملشيت : - حسناً ... يبدو أن كل شىء قد أصبح واضحاً .

وافقه المفتش قائلاً : - بلى فى غاية الوضوح . إن ساندفورد هو رجلنا . لا يمكنه أن يفلت منا . إن الأمر واضح وضوح النهار . من رأيى أن الأب والفتاة عقد العزم على تهديده وإبتزاز ماله ، ولم يكن يملك ما يكفى من المال لإرضائهما ، ولم يشأ أن تصل هذه القصة البغيضة إلى سمع خطيبته .. كان يائساً ودفعه اليأس إلى هذا التصرف .

وأردت بقولى وهو يخاطب سير هنرى فى إحترام :

- ما رأيك ياسيدى ؟

أجاب المدير السابق لإدارة اسكوتلانديارد على مضض :

- هذا جائز ، ومع ذلك فهناك شىء يزعجنى . لا أستطيع أن أتصور ساندفورد مقدماً على تصرف عنيف كهذا .

ولكنه كان متأكدا أن اعتراضه هذا لم يكن يساوى شيئاً ، خاصة وهو يعرف أن أشد الرجال هدوءا يمكن إن يقدم على أغرب الأعمال فى لحظة من لحظات الغضب . وقال فجأة : - أود أن أرى الغلام أيضاً .. ذلك الذى سمع الصيحة .

وكان جيم براون صبياً صغيراً بالنسبة لسنه ، ولكنه يبدو ذكياً وحصيفاً ، ولم يجد أية صعوبة فى إثبات ذكائه ، فقد كان يتلهف على

أن يستجوبه رجال البوليس . وبدت عليه امارات الخيبة عندما قوطع في منتصف قصته عن مأساة الأمس ، وكان قد أمضى وقتاً طويلاً فى إعدادها فى ذهنه .

قال له سير هنرى : – فهمت من قصتك إنك كنت فى الناحية الأخرى من الجسر ، وإنك كنت قادماً من القرية وعبرت الجسر ... هذا هو ما حدث ؟ .. اليس كذلك ؟ ... هل رأيت أحدا عندما بلغت الجسر ؟

– كان هناك رجل يسير فى الغابة ، وأظنه مستر ساندفورد ، المهندس الذى يبنى ذلك البيت العجيب .

تبادل الرجال الثلاثة النظر : – تقول إنك رأيته قبل أن تسمع الصرخة بعشر دقائق ؟

أحنى الغلام رأسه علامة الإيجاب : – هل رأيت شخصاً آخر على طول الشاطىء من ناحية القرية ؟ – رأيت رجلا كان يمشى فى بطء وهو يصفر ... لا ريب إنه هو جو ايلليس .

قال المفتش فى حدة : – ما كان فى مقدورك أن تعرف من هو ، فقد كان هناك ضباب ، ثم إن الوقت كان ليلاً .

– ولكننى عرفته من صفيره .. فإن جو يصفر دائماً نفس اللحن .. « أريد أن أكون سعيداً » .

وكان جيمى قد تكلم بلهجة حافلة بكل ما يحس به من ازدراء نحو رجل غبى بليد .

قال ملشيت : فى مقدور أى شخص أن يصفر نفس اللحن . هل كان متجهاً نحو الجسر .

- كلا . بل كان متجهاً نحو الطريق الآخر .. نحو الغابة

فكر ملشيت قليلا ثم قال : - لا أظن إننا بحاجة إلى الإهتمام بهذا الرجل الغريب .. سمعت الصرخة التى أعقبها سقوط جسم فى الماء ، وبعد بضع دقائق خيل لك إنك ترى جسداً يجرفه التيـار ، فأسـرعت تبحث عن النجدة ، وعبرت الجسر ، وإنطلقت تجرى نحو القرية . ألم تر أحدا بجوار الجسر عندئذ ؟

- أظن أنه كان هناك رجلان ، ومعهما عربة صغيرة على الشاطىء بجوار الجسر ولكنهما كانا بعيدين جداً ، ولا أدرى هل كانا قادمين من القرية أو ماضيين إليها . وكان البيت أقرب منى إليهما فأسرعت إليه .

قال ملشيت : إنك أحسنت صنعاً يا بنى إنك تصرفت تصرفاً جميلاً أظن إنك تنتمى إلى الكشافة ؟

- نعم ياسيدى .

- حسناً . هذا جميل .

بقى سير هنرى صامتاً لحظة وقد غرق فى التفكير ، وأخذ ورقة من جيبه يسطها ، ونظر إلى الكتابة المسطورة عليها ثم هز رأسه . كان الأمر يبدو بعيد الإحتمال .. ومع ذلك ..

وأستقرت نيته على الذهاب إلى مس ماربل .

واستقبلته فى غرفة الصالون ، وكانت غرفة صغيرة جميلة الرياش ، عامرة بالتحف الثمينة . وخاطبها قائلاً : - اتيت لكى أقول لك مدى ما وصلت إليه من تحريات ، وأخشى أن يكون الأمر على غير ما تظنين فإنهم سيلقون القبض على ساندفورد .

- الم تجد شيئاً يمكن أن . ماذا أقول . أن يؤيد نظريتنا .. (وبدت عليها امارات الحيره والقلق) .. لعلنى أخطئت . أخطئت تماماً . ولكنك على دراية كبيرة ياسير هنرى بحيث لا يمكن أن تخفى عليك الحقيقة .

أجاب سير هنرى : إذا أردت الحقيقه فإننى أكادلا أصدق ذلك . ثم إننا نصطدم بدليل نفى لا يمكن نقضه فقد قضى جو ايلليس الليل فى تركيب رفوف فى مطبخ مسز بارتليت وكانت هذه الأخيرة معه طوال الوقت .

أجفلت مس ماربل ، وإنحنت إلى الأمام وأخذت نفساً طويلاً ، ثم قالت ولكن هذا غير ممكن . فقد حدثت المأساة مساء يوم الجمعة .

- . مساء يوم الجمعة ؟ - نعم ... ففى مساء كل يوم جمعة تمضى مسز بارتليت لإعادة الغسيل لأصحابه .

اضطجع سير هنرى فى مقعده إلى الوراء وعادت قصة الغلام إلى ذهنه قصة الرجل الذى يصفر نعم .. إن كل شيء يتطابق ويجد مكانه تماماً

ونهض وأخذ يد مس ماربل بين يديه ؛ وضغط عليها فى رفق وقال :

- أظن أننى بدأت أرى كل شيء فى وضوح يا مس ماربل سأحاول أن أهتدى إلى الحلقة الناقصة

وبعد خمس دقائق كان قد عاد من جديد إلى بيت مسز بارتليت ، ووجد جو ايلليس فى غرفة الصالون الصغيرة المزدحمة بمختلف التحف ، وإبتدره قائلا :

– إنك كذبت علينا يا ايلليس بخصوص الليلة الماضية ، فأنت لم تكن فى المطبخ ، ولم تركب الرفوف فيما بين الثامنة والثامنة والنصف ، فقد رآك بعضهم على شاطىء النهر بجوار الجسر قبل مقتل روز ايموت ببضع دقائق .

إبتلع الرجل ريقه بصعوبة قائلاً : – ولكنها لم تقتل ... كلا . ليس هذا صحيحاً ... إنها ألقت بنفسها فى النهر . كانت يائسة ، وما كنت لأمس شعرة من رأسها .

– لماذا كذبت على أذن ؟ ... لماذا لم تقل الحقيقة على الفور ؟

تهربت عينا الشاب فى إرتباك وقال : – كنت خائفاً . فقد رأتنى مسز بارتليت هناك . وعندما عرفنا ما حدث بعد ذلك بقليل .. حسناً .. خطر لها أن الأمر قد يكون فيه ضرر لى ، ورأيت أن أزعم إننى كنت أقوم بتركيب الرفوف هنا ، ووافقتنى هى على ذلك .

لم ينطق سير هنرى ، وإنما ترك جو ايلليس وحده فى الغرفة ، وأسرع إلى المطبخ حيث كانت مسز بارتليت تغسل الأطباق . وبادرها قائلاً : – مسز بارتليت . إننى أعرف كل شىء . وأظن إن من الأوفق لك أن تعترفى ، إلا إذا آثرت أن يشنق جو ايلليس بسبب شىء لم يفعله .

كلا . إننى أعلم تماماً إنك لا تريدين أن يقع هذا . إنك خرجت لتسليم الغسيل لأصحابه ، والتقيت بروز ايموت . وكنت تظنين إنها ستترك جو ايلليس لكى ترحل مع ذلك الغريب . ولكن ها هى ذى تنتظر مولوداً . وجو ايلليس على إستعداد لكى يخف لنجدتها ، ولكى يتزوجها إذا رضيت به . ولكنه يقيم فى بيتك منذ أربع سنـوات ، وقد وقعت فى هواه ، واردت أن تحتفظى به لنفسك ، وبدأت تكرهين الفتاة . لم تستطيعى إحتمال فكرة أن تأخذ منك تلك الفاجرة الحقيرة الرجل الذى تحبينه . اليس كذلك ؟ فأمسكتها من الخلف من كتفيهـا ، ودفعت بها إلى النهر . وبعد دقـائق التقيت بجو ايلليس ، ورأكمـا الغـلام جيمى معاً ، ولكنـه توهم بسبب الظلام إن العربة الصغيرة عربة أطفال يجرها رجلان . وقد سارعت فاقنعت جو بأن الشكوك يمكن أن ترقى إليه ، وأختلقت هذه القصة لإبعاد التهمة عنه ، فى حين إنك كنت تحاولين إبعادها عنك أنت فى الواقع . هل أنا على صواب أم إننى أخطأت .

وإنتظر وهو يكتم أنفاسه .

وكانت واقفة أمامه تجفف يديها فى مئزرتها ، وهى تدرك فى بطء فى نفس الوقت هزيمتها . وقالت أخيراً فى صوت هادىء منخفض أدرك سير هنرى فجأة خطورته الشديدة :

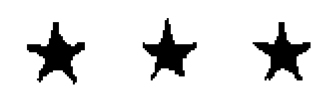
– هذا هو ما حدث ، ولا أدرى ما الذى جرى لى ، ولكنها كانت فتاة فاجرة ، وخطر لى فجأة إنها قد تنتزع منى جو ، ولم أكن سعيدة فى

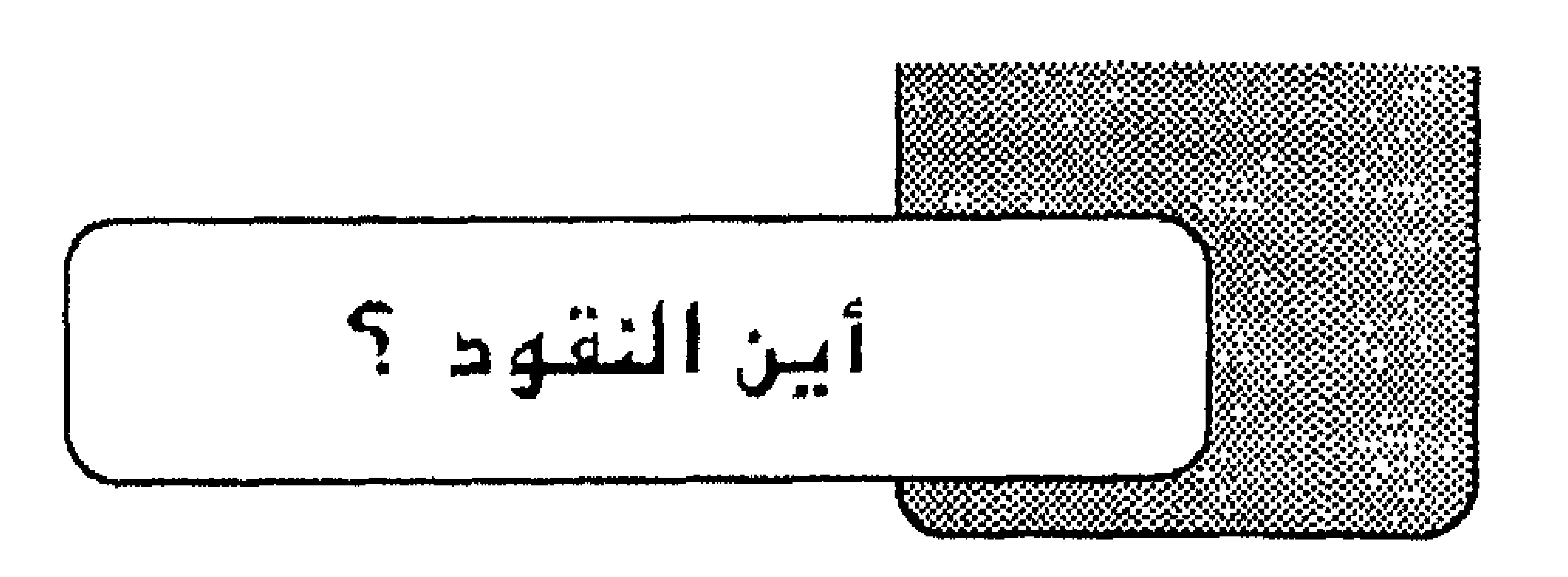
حياتى يا سيدى ، فقد كان زوجى فقيراً شرساً ، أقعده المرض ، وضطررت إلى العناية والإهتمام به ، ثم جاء جو للسكنى هنا . وأنا لست امرأة مسنة على الرغم من المشيب الذى خط شعرى ، فقد بلغت الأربعين منذ قليل ، وجو شاب وحيد ليس له مثيل بين ألف من الرجال ، وما كنت لا تردد عن شيء فى سبيله .. ما كنت لا تردد أبداً ... كان كالطفل الوديع الظريف الساذج .. كان ملكى أنا ... ولكن جاءت هذه ..

وشهقت باكية ، ولكنها سرعان ما تغلبت على مشاعرها ، وحتى فى هذه اللحظة ظلت امرأة قوية ، فإنتصبت قامتها ، والقت نظرة كلها فضول على سير هنرى وإستطردت : - إننى على إستعداد لأن أتبعك يا سيدى . ما كنت لأعتقد أبداً أن فى مقدور أحد اكتشاف الحقيقة ، ولا أدرى كيف إستطعت انت أن تعرف ذلك .. لا أدرى حقاً .

هز سير هنرى رأسه فى رفق وقال . - الحق إننى لم أعرف .

ونطق بكلماته هذه وهو يفكر بكل صدق وإخلاص فى الورقة الصغيرة التى إنتزعتها مس ماربل من دفترها ، والتى سطرت عليها بخطها الصغير الدقيق هذه الكلمات : مسز بارتليت التى يسكن عندها جو ايلليس ومرة أخرى كانت مس ماربل على صواب .





أين النقود ؟

لم تكن هناك نسمة هواء ، وكان يوم الإثنين من شهر يوليه الذى نحن بصدده من أشد أيام الصيف حراً ، وكنت مسترخياً مترنحاً على مقعد خشبى ذى رقائق حديدية ، فى ظل مبنى المحكمة القديمة تحت نوافذ الطابق الأول ، حيث يوجد مكتبى ، وكان يعلوها الغبار والشوارع تكاد تكون مقفرة ، إذ لجأ أغلب الناس إلى الشاطئ هرباً من سخونة الجو .

ورأيت السيارة المكشوفة تقف عند الإشارة الحمراء ، وهى واحدة من إشارتين تملكهما المدينة . وكان السائق وحده ولم أكن أعرفه . وبدا نافد الصبر ، وترك المحرك يدور فى إنتظار تغيير الإشارة . وعندما تحولت هذه إلى اللون الأخضر إنطلق كالإعصار .

وبعد عشر دقائق أقبلت سيارة من ناحية البحيرة وإجتازت المفارق بكل سرعة ثم جاءت وتوقفت أمامى . وتوقعت حدثاً جللا حتى قبل أن تصرح المرأة التى أمام عجلة القيادة قائلة عبر النافذة المفتوحة

- أيها الشريف وقعت حادثة بجوار البحيرة ، وأظن أن رجلاً مات .

كانت السيارة المكشوفة قد حادت عن الطريق العمومى على مقربة من البحيرة ، وهو طريق متعرج ينقسم إلى دربين ، ولابد للسائق أن يكون على أتم الحذر والحيطة وهو يقود سيارته فى هذه الناحية كما تشير اللافتات الموضوعة هناك بذلك . ولكن صاحبنا كان فى عجل من أمره ، ويبدو إنه لم يلحظ اللافتات ، فحادت السيارة عن الطريق عندما حاول أن يدوس على الفرامل فإنقلبت وإنحشرت بين شجرتين ضخمتين وطار السائق من مقعده ووقع على صدره فوق الأرض وتهشمت أضلاعه وتحول وجهه إلى . وانحنيت فوقه ولم أكن أعرفه .

وعدت إلى سيارتى ، وأخذت غطاء من صندوقها ، وإستقبلت بسرور بوليس المرورالذين أخطرتهم بواسطة جهاز اللاسلكى الموجود فى سيارتى، وأبعدت جمهور المتطفلين الذين بدأوا يتجمعون فى مكان الحادث . ثم مضيت إلى ما تبقى من السيارة المكشوفة، وجثوت وسط الحطام الذى تسبب فى الإصطدام، وفتحت الباب الذى بجوار السائق ، وتناولت بطاقة من البلاستيك تحت عجلة القيادة لكى أرى رخصة السيارة . كانت هذه ملكاً لشخص يدعى ر . م . برادستون من مدينة سانت بول وعدت إلى الجثة ، ووجدت بأحد جيوبها محفظة بها بطاقة بأسم ر . م . برادستون وكيل إحدى الشركاتَ التى تصنع التوابيت .

وبعد ساعة كنا قد فرغنا من كل شيء ، فقد نقل ايدناسون الجثة ، وايدناسون هذا هو صاحب محل دفن الموتى الوحيد فى المدينة ، وإنتزعنا تونى ســـكالى ، صــاحب الجاراج من عوامته التى صنعها

بنفسه حيث يقضى فيها هو وزوجته مارفى بعذ ظهر كل يوم من أيام الصيف بين السباحة وبين الإسترخاء والإستلقاء لتعريض جسديهما لأشعة الشمس . وقد حاول أن يخفى إستياءه لأننا إنتزعناه من متعته المحبوبة فمضى وركب قاطرته وسحب السيارة المحطمة حتي جاراجه . وراح رجال المرور يراقبون حركة المرور من جديد .

وركبت سيارة الخدمة وعدت . كان الحر داخل المبنى القديم لا يطاق . ولكننى على الرغم من ذلك كتبت التقرير الخاص بالحادث ، وإتصلت تليفونياً بشركة التوابيت بسنت بول ، وهى تقع على بعد تسعين كيلو مترا ، وأخبرت أحد مديريها بما حدث ، فتلقى نبأ موت ر . م . برادستون بدهشة كبيرة . وطلبت منه أن يتصل بايدناسون لنقل الجثة .

وبهذا إنتهى كل شىء بالنسبة لى ، على الأقل حتى هبت عاصفة عنيفة . على المدينة فى تلك الليلة حملت معها سيلاً من الأمطار فى صبـــاح اليوم التالى ، ورجلا أنيقاً قال إن إسمه اتويل ليمســون وإنه مدير الشركة التى كان برادستون يعمل بها ، وطلب منى خمسة وعشرين ألف دولار نقداً قال إنها كانت مع برادستون .

قلت مشدوهاً : – نقداً ؟

ودفعت إليه ، فوق المكتب بالأشياء التى وجدناها فى جيوب برادستون وقلت :

– إننى لم أجد معه شيئاً يا مستر ليمسون . لم نجد خمسة وعشرين

ألف دولار بكل تأكيد . لم يكن معه غير سبعة وثلاثين دولارا فى محفظته وقطع نقود صغيرة فى جيبه . وهذا كل شىء .

اتسعت عينا ليمسون وقال : إن المبلغ كان فى السيارة فى أبوابها .

– ماذا ؟

– إن معاملاتى كلها بالنقد أيها الشريف . ان وكلائى يبيعون ويقبضون ونقوم نحن بالتسليم . وكان برادستون عائداً إلى سانت بول بعد أن عقد صفقة ، وإتصل بالمكتب تليفونياً قبل ذلك بيومين ، وهذا المبلغ كان يجب أن يكون موجوداً فى أبواب السيارة ، وكان يتصرف هكذا حتى يضمن عدم ضياعه فى الطريق .

وافقت الرجل القصير الأنيق على أن التعامل بالنقد أفضل ، وأنا نفسى كنت أحبذ هذه الطريقة ، فلم أكتب على نفسى كنبيالة فى أى وقت من الأوقات ، ولم أشتر أى شىء على الحساب ، ولم تكن بى أية ثقة فى الشيكات . وإذا كنت لم أمتلك البيت الصغير الذى أصبوا إليه فذلك لأنه كان ينقصنى ستة آلاف دولار لكى أدفع ثمنه نقداً ، ولكن من العسير أن يقبل أحد دفع خمسة وعشرين ألف دولار نقداً ، فإن أغلب الناس لا يدفعون بل لا يستطيعون سداد هذا المبلغ ... بهذه الطريقة .

وعبرت له عن رأيى هذا بصوت مسموع . ولكن لم يكن من جراء ذلك إلا أن إزداد ليمسون قسوة وضراوة وراح يصرخ ويؤكد أن هذا المبلغ موجود فى السيارة المكشوفة المحطمة . ولم يسعنى إلا أن أقول :

– حسناً جداً . سنذهب إلى جاراج تونى سكالى ، فهناك يوجد حطام السيارة ، وسنرى إن كان فيها أى شىء .

وكان جراج تونى على بعد خطوات ، ولكن لم نكن نستطيع مع ذلك أن نذهب إليه تحت سيل المطر ، فركبنا سيارة الخدمة . وفتح تونى الباب الكبير بمجرد أن سمع بوق السيارة ، ثم أغلقه خلفنا ، ولحق بنا ونحن نهبط من السيارة . كان رجلا قصيراً ، ربعة القوام ، فى الخامسة والأربعين من عمره ، له وجه مستدير أسمر ، وشعر داكن ، وأصابع معوجة تصبح أدوات ساحرة عندما يتعلق الأمر بإصلاح أى نـوع من المحركات . وكان لا يهتم بشىء آخر غير عمله ، إلا بزوجته وعوامته والصيد تحت الماء . وكان طوال شهور الصيف يشتغل فى الجاراج فى الصباح والمساء ، أما فترة بعد الظهر فكان يكرسها لمارفى وللبحيرة ومسرات الماء .

كانت مارفى بكل تأكيد أجمل فتاة فى المدينة ، وكانت فى مثل سنى ، أى أصغر من زوجها بسبعة عشر عاما . وكان هناك كثيرون فى المدينة لم يفهموا كيف رضيت ، منذ أربع سنوات ، أن تتزوج بتونى سكارنى . كان هذا الزواج قد تم بعد خمسة شهور من وفاة والد مارفى ، وكان شريكا لتونى، وقد أثار أكبر دهشة عندئذ، وقال بعضهم إن مارفى أحست بالوحدة بصورة غريبة، وإنها كانت بحاجة إلى الأمـان بعد موت أبيها . وقال البعض الآخر إنها كانت تشكو من عقدة أوديب .

وأنا نفسى لم أفهم هذا الزواج أبدا ، والواقع إنه كان هنـاك وقت كنت أتخيل نفسى فيه أنا ومارفى أمام القسيس حيث يعقد زواجنا .

أومـأ تونى سكارنى محييا ، ونظر إلى أتويل ليمسون فى دهشة . وشرحت له سبب قدومنا ، فبدأ عليه الذهول وقال :

- هل تمزح يا شارلى ؟

سألته : - هل فحصت العربة ؟

- طبعاً . ألقيت عليها نظرة . لم يبق منها أى شىء . إنها تهشمت تماماً . ولا أدرى كيف يمكن إصلاحها . أما التفتيش فى الأبواب فليس من خصائصى .

- فلنذهب لرؤيتها .

كان هيكل السيارة المكشوفة موجودا فى ركن مظلم من الجراج . وأخذ تونى أدواته ، وراح يعمل فى الأبواب وأزال ما حولها من تنجيد . وكان داخلها فارغاً .

نظرت إلى أتويل ليمسون محاولا أن أستشف أفكاره ، ولكن وجهه ظل جامداً . ولم ينم عن غضبه غير عينيه . وإنفجر فجأة وقال فى صوت حاد : - من منكما الذى سرقه ؟ من الذى أخذ نقودى ؟ .. أين تخفيانها ؟ إن واحدا منكما ..

صحت به : - هذا يكفى .

كان يريد أن يزيد ، ولكنه سكت عندما أمسكته من ذراعه ودفعته

نحو عربة الخدمة ، ثم عدت إلى تونى ، وكان يعيد الأبواب مكانها ، وقال : – من هذا المعتوه يا شارلى ؟

قلت دون أن أكذب : – لا أدرى .

وكان تونى جاثيا على ركبتيه مركزاً كل إهتمامه إلى عمله . وكنت واقفاً خلفه أنظر إلى جسمه الضخم ، وأنا أتساءل هل صحيح عثر على المال ولم يقل شيئاً عنه ؟

وأدار رأسه فجأة ونظر إلى من فوق كتفه الضخم وقال :

– إننا نرى هذه الأيام أنواعا كثيرة من المجانين يا صاحبى . أليس كذلك؟

قلت : – نعم . هل لمس أى أحد غيرك هذه العربة بعد أن جئت بها إلى هنا ؟

– كلا .

– ألم يقترب منها أحد ؟

– أبـداً . أنت تعرف كيف تجرى الأمـور هنا عندما يقع حادث يا شارلى . إن الناس فضـوليون بطبعهم ، خاصة إذا ما لقى أحدهم مصرعه ، فإنهم يدخلون ويخرجون لمشاهدة السيارة ولكن ..

وفجأة هب على قدميه وقال :

– ولكن لا أظنك تصدق قصة ليمسون هذا . لا أخالك تعتقد إنه كانت بهذا الحطام نقوداً حقاً ؟

كلا   ما أعرفه يا تونى هو إن ليمسون شديد الغضب .

حقاً ؟ . حسناً عيه أن يهدأ إذن .

إبتسمت وربت على كتفه وقلت له : إلى اللقاء يا تونى سأحاول فيما بعد أن أعرف ماذا يريد ليمسون أن يفعل بهذا الحطام . إن السيارة كانت مسجلة بإسم برادستون ولكن يحتمل أن تكون ملكاً للشركة .

– حتى الآن لم تكلفه السيارة فى الجاراج مليماً واحداً ، ولكن إبتدأ من هذه اللحظة سيدين لى ليمسون بمبلغ خمسة دولارات عن كل دقيقة تبقى بها سيارته حتى ينقلها من جراجى .

لم يكن غضب ليمسون قد خفت حدته عندما عدنا إلى مبنى المحكمة ، ففتحت البـاب وهبط تحت المطر قبل أن أستطيع أيقاف المحرك ، ثم تحول ونظر إلى فى غلظة وقال بصراحة :

– بعضهم سرق خمسة وعشرين ألف دولار .

– إن مثل هذا الإتهام قد يسبب ضرراً كبيراً ياليمسون . ولعل من الأوفق أن تستشير محامياً .

– سأهتم بهذا الأمر بنفسى أيها الشريف .

– حقاً ؟ .. وكيف هذا ؟

ولكنه صفق الباب وإبتعد ورأيته يمضى تحت المطر وكان يمشى كما لو كان لايحس بأية قطرة ثم صعد فى سيارة صغيرة متألقة وإنطلق .

شعرت بالقلق . لم أشأ أن أصدق وجود الخمسة والعشرين الف

دولار ، ومن ناحية أخرى ، لماذا يختلق ليمسون ، وهو غريب عن هذه المدينة مثل هذه القصة . وإذا كانت الدولارات قد وجدت فى السيارة حقاً ، فأين هى الآن ؟ .

فكرت فى تونى .. إنه كان رجلاً شريفاً ، يباشر عمله بحذق ومنفعة ، ومع ذلك أفلا يمكن أن يكون لضخامة هذا المبلغ النقدى أكبر إغراء مهما بلغ شرف الإنسان ؟

وحولت أهتمامي إلى عملى الروتينى لكى أطرد من ذهنى قصة ذلك المبلغ المختفى . وأضطررت إلى الذهاب بالعربة إلى الريف لتسليم أوراق طلاق لمزارع شاب . وفى أثناء عودتى مررت بموتيل هايواى حيث رأيت سيارة ليمسون ، وكانت واقفة أمام غرفة ، ولم يكن بها أحد ، ولم يرق لى وجود هذه السيارة فى ذلك المكان ، ولكننى لم أستطيع أن أفعل شيئاً .

ومر الوقت ، وكان صباح يوم الأربعاء صحوا ورطباً . وراح البخار يتصاعد من الأرض المبتلة بالماء . ومررت من جديد أمام موتيل هايواى فى طريقى إلى المكتب . لم تكن سيارة ليمسون هناك ، فأحسست بالإرتياح ، ولكن جاءتنى فى نحو الساعة العاشرة مكالمة من مسز هولمز صاحبة الموتيل تقول أن إحدى الغرف تحطم ما فيها من أثاث ومفروشات وإن نقطا من الدم تلوث السجادة . وكانت الغرفة المذكورة هى التى كان يشغلها ليمسون . وسألتها :

– هل رأيته وهو يغادر الموتيل اليوم ؟

– كلا ..

– وهل سدد إيجار الغرفة ؟

– إننى أحصل على الإيجار مقدماً دائماً .

– هل زاره أحد أمس ؟

– نعم . ولكن لا ريب إن ذلك قد حدث بعد الساعة الواحدة صباحاً فقد بقيت في مكتبى حتى ذلك الوقت ، ولم أر أحد يدخل أو يخرج .

– أو لم تسمعى شيئاً ما ؟

– كلا .

– يخيل لى يا مسز هولمز أن مشاجرة وقعت .

– وهذا الدم ؟

– قد يكون سببه نزيف من أنفه أو من بعض الجروح . لا أظن أن هناك شيئاً خطيرا ، ومهما يكن فإن السيارة قد إختفت ولم يترك الرجل شيئاً هنا وهذا ما يثبت انه أخذ متاعه وإنصرف .

قالت مسز هولمز وهى تهز رأسها : كانت معه حقيبة وقد رأيته يخرجها من سيارته ويمضى بها إلى غرفته ، بعد أن سجل إسمه في السجل .

– أستطيع أن أعطيك عنوانه التجارى .

– أكون ممتنة لك أيها الشريف فيجب أن يدفعوا لى ثمن التلفيات .

وعدت إلى المدينة ، وذهبت إلى جراج تونى سكالى وأنا أشك قليلاً فيما حدث . فقد هبط لبيمستون فى الموتيل ولا ريب أنه تكلم فى

التليفون مساء يوم الثلاثاء وإتهم تونى مرة أخرى بسرقة المبلغ فإستاء تونى ، ومضى إلى الموتيل ليؤدبه .

هذا ما حدث بغير شك ، وقد دفعنى تونى إلى الإحساس بذلك عندما رأيته فى الجاراج ، فقد كان يبدو مشاكساً وأكبر من سنه بنحو عشر سنوات . وزادت غصون وجهه ، وإكتست عيناه بنظرة جوفاء . وكان يضع شريطاً لاصقاً على جزء من وجهه .. يبدأ من عينه اليسرى حتى أذنه وبظاهر يده جروح كثيرة ، وقال قبل أن أسأله عن أى شىء :

- وقع على رأسى مفتاح إنجليزى فشجها وأصابنى بجراح .

وكان كاذباً طبعاً ولكننى لم أستطيع مناقشته وقال :

- ما الذى أتى بك اليوم يا شارلى ؟ هل أصيبت السيارة بعطب ؟

أجبت : - إنما أريد أن تغير لى العجلات .

أيمكن أن تنتظر حتى يوم الجمعة ؟ فى الساعة التاسعة صباحاً ؟

- لا بأس يا تومى .

ولم تكن بى رغبة فى استجواب مارفى ، ولكن كان لابد من ذلك إذا كنت أنشد راحة البال . وجاءت إلى الباب وهى ترتدى قميصاً أبيض وبنطلوناً أحمر ، حافية القدمين . كانت سمراء وكان واضحاً أنها صبغت شفتيها بالأحمر لتوها . وأحسست عندئذ بإحساس الحرمان الذى طالما أحسست به .. لو أنها إنتظرتنى سنة واحدة لإستطعت أن أجمع الضرورى من المال لكى نبدأ حياتنا على أسس ثابتة .

وقدمت لى القهوة على مائدة المطبخ وجلست أمامي ، جميلة تتدفق حياة . وراحت عيناها المنقطتان بالأخضر تومضان ، وخطر لى عندئذ أنها تدرى تماماً بما أشعر نحوها .

لم تكن تجهل قصة نقود ليمسون فقد أخبرها تونى بها ، وعندما أوحيت بأنه ربما جاءته مكالمة مساء يوم الثلاثاء وإنه ربما ذهب على أثرها إلى الموتيل تجهم وجهها وأسرعت تقول

- إنه بقى فى البيت طوال الليل يا شارل . بقينا معاً هنا ، وشاهدنا التليفزيون ، ثم أوينا إلى الفراش فى وقت مبكر . ولم تأت أية مكالمة تليفونية لتونى ولم يغادر البيت

عرفت إنها تنكذب وتحاول حماية زوجها . وأردفت تقول : - إنك تعرف تونى . إنه شاب ظريف لا يتشاجر مع أحد .

ولم أكن قد تحدثت أبداً عن المشاجرة التى وقعت فى الموتيل .

ولم يكن هناك عمل كثير لا يوم الأربعاء ، ولا يوم الخميس ، وحاولت أن لا أفكر إلا فى البيت الذى أريد أن أشتريه ، وفى نائبى الذى يقوم بأجازته . ولكن كان هناك خلف هذا كله خمسة وعشرون ألف دولار نقداً ، وحادث سيرة ، وصاحب جراج ، وزوجته الحسناء ورجل إسمه ليمسون ، ومشاجرة وقعت فى إحدى غرف الموتيل .

هل أخذ تونى سكالى الخمسة والعشرين ألف دولار ، وخبأها وضرب ضرباً مبرحا رجلاً أتهمه بالسرقة ؟

وفى يوم الجمعة تشكلت شكوكى فقد وجدت عند عودتى إلى المكتب بعد الغذاء رجلين فى إنتظارى ... كل منهما عريض الكتفين متين البناء يرتدى ثياباً تقليدية ، يتقد ذكاء ونشاطاً ، وعرضاً على أوراقاً رسمية تدل على إنهما من رجال الخزانة الأمريكية . وأرادا أن يعرفا إذا كنت قد سمعت عن شخص يدعى أتويل ليمسون .

وأبديت حرصاً كبيراً فسألتهما لماذا يهتمان به دون أن اذكر لهما إننى التقيت به ، فأخبرانى بإيجاز إنهم يشتبهون فى أن ليمسون يبيع أسلحة لمناهضى ثورة كاسترو . وأبديت لهما دهشتى من أن تقع مثل هذه المسألة فى مينيسوتا ، فى حين إن فلوريدا هى المكان المنطقى ، ولكنهما قالا لى إنهما يشتبهان فى أن ليمسون يجمع البنادق المسروقة من مخازن الجيش والبحرية ويرسلها فى توابيت إلى فلروريدا . وقال أحدهما : إننا نراقب أتويل ليمسون منذ شهور . ونحن نعرف إنه يقوم بالإتجار فى الأسلحة ولكننا حتى الآن لم نستطيع التدليل على ذلك .

قلت وأنا أتأهب لكى أحدثهما عن زيارة ليمسون دون أن أتعرض فى حديثى لتونى سكالى . - كم ساعة تراقبانه فى اليوم ؟

- طوال اليوم فيما عدا مساء الإثنين .

ورأيت الرجل يلقى نظرة سريعة على زميله عندما قلت : الإثنين الماضى ؟ - كان أحد رجالنا يتبعه ، ولكن ليمسون هرب منه ، ولدينا من الأسباب ما يحملنا على الظن بأنه غادر سانت بول وجاء هنا .

– أية أسباب ؟

إسترد الرجل أنفاسه وقال : – لم ير أحد منا ليمسون منذ مساء الإثنين ولكن إحدى سياراته وهي التى كان يركبها مساء الإثنين بالذات وجدت فى أحد شوارع سانت بول بعد ان أزيل ما عليها من بصمات ، وقد بدا لنا ذلك غريباً ، وما زلنا نستغربه حتى الآن . وبعد ذلك بقليل ، وأمس بالذات دخلنا مسكنه فوجدنا كل شيء على ما يرام ، ولكننا وجدنا دفترا صغيراً بجوار التليفون . وفى هذا الدفتر كتب ليمسون بخط يده إسم هذه المدينة .

– حسناً ؟

هز الرجل كتفيه وقال : لا ندرى شيئاً أيها الشريف ، ولكننا نتعلق بقشة واهية ، وما زالت أمامنا فرصة فى أن يكون ليمسون قد أقبل هنا لسبب ما ، وإنه لا يزال هنا . ولكن لعله تخلص من سيارته لكي يستقل القطار ، ولعله إستبدل السيارة بأخرى ، ولكن لو صح ذلك فلماذا يحرص على إزالة ما فى العربة من بصمات خاصة وإنها مسجلة بإسمه ولا يمكن أن يكون لديه من الأسباب ما يحمله على ذلك إلا إذا كان هناك سبب يحمل شخصاً آخر على إزالتها .

– هل تظن إن فى الأمر فخاً ؟

– يجب توقع كل شيء من ليمسون .

تظاهرت بأنني أفكر مليا فيما ذكره لى ثم سألته : – حسناً . إذا إفترضنا إن ليمسون جاء هنا ، وإنه ربما لا يزال هنا ، فما الذى يحملك على الظن بأننى أعرفه ؟ إذا صح ما تقول عنه فأنا آخر من ...

قاطعنى الرجل قائلاً : – هذه المدينة صغيرة أيها الشريف ، وأنت تعرف كل من فيها ، وتعرف كل غريب يأتى إليها .

قلت : – هذا صحيح . ولكن هذا موسم السياح ، وفى هذا الوقت من السنة تأتينا أفواج كثيرة منهم .

أجاب الرجل فى إعياء : هى فرصة أردنا إنتهازها على كل حال .

وتبادل مع زميله نظرة فتوترت أعصابى . كان لابد أن أتظاهر بالهدوء ، على الرغم من إننى لم أشعر بأى شىء منه ، فقد إضطربت أفكارى وتملكتنى الهواجس بأن تونى إكتشف الخمسة والعشرين ألف دولار فى الأبواب ولم يذكر شيئاً عنها ، ثم جاء أتويل ليمسون بعد ذلك ، وتصورت هذا الأخير يأخذ غرفة فى الموتيل ، ويتكلم فى التليفون مع تونى ، ويخفى هذا النقود بالإتفاق مع مارفى ، ثم يذهب إلى الموتيل . وتصورته يقتل أتويل ليمسون ، اما قضاء مقدرا أثناء شجارهما ، واما عمداً . وتصورته يتخلص من الجثة ، ويمضى بسيارة ليمسون إلى سانت بول ، ومارفى تتبعه فى سيارة أخرى ، ثم يوقف تونى سيارة ليمسون فى شارع غير مطروق ، ويزيل ما عليها من بصمات ، ثم يعود هنا هو وزوجته . ورأيت تونى أيضاً شارد النظرات

فى صبـاح اليوم التـالى ، يقول لى أن مفتاحاً إنجليزياً وقع على نافوخه ، وسمعت زوجته تكذب على .

– أيها الشريف ! ...

كان الرجلان ينظران إلى وقال الذى بدأ بالكلام : سنقوم بالتحرى فى المدينة ، فمن الجائز أن نجد أحداً يعرف ليمسون أو سمع عنه .

– هل أستطيع مساعدتكما ؟

– كلا . سنتدبر الأمر وحدنا . إنما أردنا فقط أن تعرف إننا هنا إذا ما إتفق وإكتشفت شيئاً ما .

وغادر المكتب فجففت جبينى وتنفست الصعداء ، فإن هذه اللعبة التى قمت بها لم تكن تبشر بالخير ، ومع ذلك فقد ربحت .

وخطرت ببالى فكرة أخرى وهى لماذا لم يستفهم هذان الرجلان عن برادستون ، وعن الحادث الذى وقع له . إذا كانا يعرفان كل هذه الأمور عن ليمسون ، أفليس معنى هذا أنهما يعرفان كل شيء عن برادستون كذلك ؟ ... وإذا صح هذا اما كانا يعرفان أن برادستون وقع له حادث وإنه مات .

وقلت لنفسى : – كان لابد أن يسألانى عن برادستون . وأزعجنى هذا . كان يجب أن أحدثهما أنا عن ليمسون ، فقد كان من اليسير عليهما أن يكتشفا أين توجد السيارة المحطمة . فإنهما سيذهبان إلى جراج تونى ، وسيحدثهما هذا الأخير ، إذا كان بريئاً ومن غير أن

ينتظر إستجواباً عن زيارتى أنا وليمسون له ، وعن قصة الخمسة والعشرين ألف دولار . ومن ناحية أخرى إذا كان تونى قد أخفى النقود وقتل ليمسون فلن يقول لهما كلمة عن برادستون بالطبع .

وفى الساعة الخامسة ، وهى ساعة إغلاق المكتب أحسست بأننى أحسن حالاً ، فإن الرجلين لم يعودا . وقمت بجولة فى المدينة لم أرهما فيها ، فإنطلقت فى الطريق المؤدى إلي البحيرة ، وكانت عوامة تونى تقع على مقربة من الجزيرة الوحيدة ، وجلست لحظة على الشاطىء أحدق بعينى فى العوامة . كنت غيورا ، على الرغم من إننى لم أكن أريد التظاهر بذلك ، فإن هذه العوامة كانت بمثابة بيت آخر لمارفى أثناء الصيف ، وقد بناها تونى بنفسه . كانت كبيرة وتقوم على عدد من البراميل ، وتربطها بالشاطىء سلاسل متينة ، ويؤدى إليها جسر ضيق من الخشب ، وبها مصابيح تضاء بالبترول ، وقبة من القماش تغطى نصف مؤخرتها ، وكانت مارفى ، عندما تتعب من السباحة تتمدد فى الظل على مقعد مستطيل تكسوه الوسائد . وكان هناك أيضاً موقد يعمل بالغاز وثلاجة صغيرة يحتفظ فيها تونى بشتى الأطعمة وبزجاجات البيرة .

كان كل ذلك يدمى قلبى ، فقد كان فى مقدورى أن أهيىء لها كل هذا .

وعدت إلى المدينة ، ورحت أتجول بالسيارة هنا وهناك ، حتى رأيت تونى يعود إلى جاراجه فى الساعة الثامنة ، وإنتظرت عشرين دقيقة أخرى ثم دخلت . وعلى الفور حسب أننى أتيت بسبب عطب ما فى العجلات التى إستبدلها بسيارتى ، ولكننى طمأنته من هذه الناحية وحدثته عندئذ عن مندوبى الخزانة اللذين أتيا لزيارتى .

وكانت رأس تونى داخل إحدى السيارات ، وكان قد رفع الكاربيراتير فلم أر وجهه وهو يسألنى قائلاً : - ماذا كانا يريدان ؟

قلت له كل شىء دون مواربة ، وكنت إنتظر منه رد فعل عنيف ، ولكنه لم يبد غير شىء من الفضول فقال :

- يبدو أن ليمسون هذا رجل له شأن ؟

قلت فى حرص : - نعم . يبدو أنه كان كذلك .

نظر إلى فى حدة وقال : - كان ؟ .. ماذا تعنى ؟

هززت كتفى وقلت : - أعنى ما أقول يا تونى ، وذلك بسبب ما ذكره هذان الرجلان عن شكوكهما وعن الفخ وعن كل شىء .

- إن من يسمعك يا شارلى يعتقد إنك تمحو هذا الرجل الغريب من خريطة الأحياء .

- يخامرنى إحساس بأن رجلى الخزانة يعتقدان ذلك .

- لا لشىء إلا لأنهما وجدا السيارة التى كان يقودها ؟ ... لعله فطن إلى أمرهما ، وخطر له أن يخدعهما ، فتركها حيث هى وهرب .

– هذا جائز .

– ألم يلقيا أى سؤال عن برادستون ؟

– كلا .

– إنهما لم يأتيا هنا أيضاً. ومعنى هذا أنهما لا يعرفان شيئاً عنه .

– إنك لم تكن هنا بعد ظهر اليوم يا تونى ، أليس كذلك ؟ ... إنك كنت فى البحيرة .

إننى لم أخرج من هنا قبل الساعة الرابعة وأنا ذاهب إليها الآن .

قلت : – كان أمامهما الوقت الكافى لكى يأتيا هنا ولكن لا ريب أنهما لا يعرفان شيئاً عن برادستون حقاً .

– ولكن كيف إستطعت أن تخفى عنهما ان ليمسون كان هنا يا شارلى ؟ إن ذلك الرجل لم يأت هنا ليتحدث معنا عن النقود فحسب ، وأصبحت أنت متشككاً ، وفجأة لم تعد تثق بى ، ومع إنك تعرفنى منذ الأبد . وقد أتيت هنا فى اليوم السابق وذهبت لزيارة زوجتى وبدا عليك إنك لا تصدق قصة المفتاح الإنجليزي ، وقلت لمارفى إننى ذهبت إلى موتيل هايواى مساء يوم الثلاثاء ، وإننى تشاجرت مع ليمسون ، وإن من الجنون أن تظن ذلك . ولكن لعل الخطأ فى كل ذلك سببه وظيفتك ، فأنت مضطر إلى موازنة المستحيل وغير المعقول ، وإذا بغير المحتمل يصبح حقيقة فجأة .

أجبت : نعم يا تونى . الأمر كذلك أحياناً .

- ولهذا السبب تظن إننى عثرت على النقود فى السيارة المحطمة ، أليس كذلك ؟

- هل هذا صحيح يا تونى ؟

نظر إلى وجها لوجه وقال : - كلا .

كان تونى سكالى كذابا كبيرا . كان بمقدوره أن يقنع شخصاً آخر غيرى ، ولكنه لم يفلح معى ، لأنه للمرة الثانية جاء ذكر معركة ، فى حين إننى لم أكشف لأحد ما عرفته عن ليمسون فى غرفته بالموتيل .

وخلال الأيام التى تلت كنت أنتظر مكالمة من مواطن يكون قد علم بشىء ما ، وإستمررت فى البحث ، وحاولت أن أرى رجلى الخزانة ورحت أتحرى لمعرفته إذا ما كان تونى ومارفى سكالى يتفقان أكثر من العادة ، ولكننى رحت أنقب على وجه الخصوص هذه المكالمة التليفونية ، فقد كنت أتصور إنه أن عاجلاً وإن آجلاً قد يكتشف أحدهم جثة فى مكان بعيد عن البحيرة ، وإن تكون هذه الجثة جثة أتويل ليمسون .

وجاءت المكالمة التى كنت أنتظرها بعد وقوع حادثة برادستون بثلاثة أسابيع . وكانت الساعة عندئذ السادسة والنصف . وصحوت من نومى على رنين جرس التليفون . وسمعت فى نهاية الخط صوتاً منفعلاً يكاد يكون هستيرياً ، ولكن كان ذلك الصوت صوت مارفى سكالى ، وكانت موجودة فى الجاراج ، وقالت لى إن تونى مات .

فتحت لى مارفى الباب لكى تدعنى أدخل ، ثم أغلقته وأسرعت

وإرتمت على صدرى ، وراحت تبكى بحرقة . وكانت ترتدى بيجامة وثوباً مكشوفاً شفافاً لا يخفى أي منهما حرارة جسدها الذى كان يرتعش وهى تتشبث بى . ووثب قلبى بين ضلوعى وهو يحس بحرارتها .

وأخيراً رفعت رأسها . كان يبدو على ملامحها الأعياء ، ولم تكن شفتاها مصبوغتين . وكانت عيناها قد جفتا ، ولكن آثار الدموع كانت لا تزال على وجنتيها وتمتمت تقول : « شارل .. أواه ياشارل ... إنه ... إنه مات » .

– أين هو ؟

ولم أكن أريد أن يكون صوتى بمثل هذه الغلظة . وإرتدت مارفى خطوة إلى الوراء ، وأخذتنى من يدى ، ومضت بى إلى مؤخرة الجاراج . ورابت إحدى السيارات ، وكانت بدون عجلتيها الأمامتين وأدركت حتى قبل أن تألف عيناى المنظر ، فقد كانت مرتفعة عن الأرض قليلاً فوق رافعة ، وعرفت إننى إذا نظرت تحت محورها فسأجد تونى ممداً تحتها . ووجدته هكذا فعلاً وقد تناثرت حوله بعض الأدوات وتهشمت رأسه كانت القصة التى روتها مارفى تبدو معقولة ، فإن تونى عمل فى الجاراج إلى وقت متأخر ، أما هى فقد شاهدت التليفزيون ، وتكلمت بالتليفون مع تونى فى الساعة الحادية عشرة ، ثم أوت إلى غرفتها ، وكان هذا ما يتم تقريباً كل ليلة ، ولكن عندما إستيقظت فى الصباح وجدت نفسها بمفردها ، وكان فراش تونى يدل على أنه لم يقض ليلته

فيه ، فإتصلت بالجاراج على الفور . وعندما رأت ان أحدا لا يرد عليها بدأت تشعر بالقلق ، ثم إكتشفت زوجها .

أصغيت إليها ، وأنا أراقبها بعناية ، دون أن يظهر على ذلك . كان يبدو إنها لم تغادر الفراش منذ وقت طويل ولم أجد على يديها أو على ثوبها من الدم ما يمكن أن ينم عن كذبها ، ومع ذلك فقد لحت على فكرة واحدة وهى ألا يمكن أن تكون قد أتت إلى الجاراج فى أى وقت من الليل ، وإن تكون قد ضربت زوجها على رأسه بآلة حادة .

لم ترق لى هذه الفكرة أبداً . ولكننى رأيت من ناحية أخرى إن فتاة يمكن أن تكون إشتركت فى إرتكاب جريمة قتل ، وإستطاعت أن تخفى جشعها بمهارة ... فتاة شابة فى مقتبل العمر ، أعياها الزواج برجل يكبرها سناً بكثير يمكنها أن تذهب بعيداً بخمسة وعشرين ألف دولار .

ودفن تونى صباح يوم الجمعة ، وكانت جنازته مهيبة سار فيها معظم أهالى المدينة . ورافقت مارفى ، وجلست بجوارها فى الكنيسة ، وفى الوقت الذى ووری فيه التراب لم أتركها لحظة واحدة . وكانت لا تبكى ولكن منظرها كان يشق على الجميع . وكان وجهها شاحباً على الرغم من السمرة التى إكتسبتها من شمس الصيف ، وعيناها المنقطتان باللون الأخضر ضاع بريقهما .

وحبست نفسها فى بيتها بعد الفراغ من الجنازة على الفور ، ولم نرها من جديد فوق العوامة إلا بعد عشرة أيام ، وأبدت فى تعاملها مع الناس تحفظاً كبيراً ، وعلى الرغم من إنها إضطرت إلى الخروج من

بيتها لمقتضيات الحياة التى لابد منها ، فإن أحداً لم يرها إلا بعد ظهر كل يوم على سطح عوامتها . وكانت تستلقى فوقها وتعرض جسدها لأشعة الشمس ، وكانت ترتدى فى بعض الأحيان ثياب الغطس ، وتغطس حتى قاع البحر . وكان الصيادون والمعجبون الذين يغذون الآمال الكبار وهم يشاهدون هذه الأرملة الشابة يصطدمون بطباعها الباردة الغامضة . وكان الرجلان الوحيدان اللذان يحظيان منها بقليل من التفاعل هما السمسار الذى باع لها الجاراج وأنا نفسى ، لأنها كانت تعتبرنى صديقاً مخلصاً .

وكنا قد بدأنا الأسبوع الرابع من شهر أغسطس . وكانت مارفى لا تظهر كثيراً فوق عوامتها فى تلك الأيام الأخيرة ، ولكن الجو كان شديد السخونة فى ذلك اليوم ، فأخذت ثوب البحر ومضيت إلى البحيرة . وإذ وصلت هناك بقيت مدة طويلة جالساً على الرمل أنظر إلى الماء المتلألىء وأنا أناقش أمراً فى قرارة نفسى ، وكانت مارفى مستلقية على صدرها على سطح العوامة تحت أشعة الشمس . ونهضت أخيراً ، وأخذت زورق الخدمة ، ومضيت إليها . وكانت جالسة وقد أحاطت ركبتيها بذراعيها ، وعندما لمست العوامة كانت تبتسم . كانت هذه أول مرة أرى إبتسامة حقيقيه على وجهها منذ موت تونى .

وربطت زورقى ، ووثبت إلى العوامة . كانت مارفى جميلة فى ثوب البحر وكان من قطعتين . وقسمات وإنحناءات جسدها كانت فاتنة ، وبشرتها السمراء المدهونة بالزيت تتألق . وكانت لا تزال تبتسم وهى تضغط على يدى فى سرعة قائلة . صباح الخير يا شارلى .

قلت مبهور الأنفاس قليلاً وأنا أبادلها إبتسامتها : - حسناً ، ها أنت خرجت من قوقعتك أخيراً .

أجابت : - من أجلك أجلس .

- أفضل أن أستحم أولا .

- سآتي معك .

ونهضت بحركة رشيقة ، وأحسست برغبة مجنونة في أن أضمها بين زراعي ، ولكنني تحولت عنها وغطسنا معاً في الماء الدافيء . وأخذنا نسبح بضع لحظات في ظلام الأعماق ، وخيل لي إنني أرى ظلا في القاع ، وعندما عدت إلى سطح البحر إصطدمنا معاً أنا ومارفي ، ولم يكن في رأسي في ذلك الوقت غير فكرة واحدة .

ورأتها في عيني ، ولم تشعر بأي غضب لذلك . ولكنها إبتعدت عني وهي تضرب الماء بيديها كما لو كانت تلعب وراحت تسبح بسرعة ، وصعدت فوق العوامة . وجلست على حافتها ، ووجهها يطفح سعادة وبشرا . ومدت لي يدها تعاونني على اللحاق بها ورفعت جسدي وبحركة سريعة جلست بجوارها . وكانت تبدو مسلوبة اللب وقالت :

- لأول مرة يا شارلي ، منذ وقت طويل أحس إنني عدت كما كنت قبلا .

- مارفي

أدارت رأسها نحوي في حدة . وقد تلاشت إبتسامتها ، ثم بحثت

عن أصابعي وضغطت عليها في هدوء وهمست - أرجوك يا شارلي ، لا تقل شيئاً لست مستعدة لكي أسمعك . بعد ثم إبتسمت فجأة من جديد وربتت على ذراعي في ود . ونهضت قائلة - ما قولك في زجاجة من البيرة

سرى إلى مرحها وقلت ولكنني لا أستطيع الشراب في مواعيد العمل الرسمية

قالت وهي تتمدد تحت أشعة الشمس -- أوه . لا تكن سخيفاً . هناك زجاجات كثيرة في الثلاجة فإفتح لنا زجاجتين فإنني لم أشرب بيرة منذ أسابيع

لم يكن هناك ما يمنعني من شرب هذه البيرة . وتمددنا جنباً إلى جنب ، وأخذنا نحتسي المشروب المثلج في جرعات صغيرة . وعرفت مارفي عندئذ معرفة وثيقة ، وتبادلنا ، أخيرا شيئا لا يستطيع أى شيء أن يؤثر فيه ، ولا حتى ذكرى زوجها الميت .

ثم فرغنا من البيرة . وكانت الشمس الحارة قد جففت جسدي ، وخفت أن تؤثر حرارتها في فالتفت إلى مارفي وقلت :

-- ما رأيك في أن نسبح ثانيه

أجابتني والنوم يغالبها : - كلا أذهب أنت وسأنتظرك هنا .

وغطست إلى أعماق البحر . إلى أعماقه السحيقه . ووجدت مشقة في الصعود إلى السطح ، ورحت أعوم وإنا شبه واقف ، وإزدادت

ضربات قلبى ، ولكن لم يكن سبب ذلك العوم فحسب ، فقد رأيت مرة أخرى ذلك الظل ... الظل الغامض الذى ما كان يجب أن يكون موجوداً فى ذلك المكان .وفى حرص التفت لكى أنظر إلى العوامة . كانت مارفى مستلقية على صدرها ، وقد دفنت وجهها فى يديها الملتويتين ، ولم تكن مهتمة بى . ووددت لو أن أصعد إلى العوامة ، وأرتدى ثياب الغطس ، ولكننى كنت أعرف إننى سأثير شكوكها بعملى هذا . فأخذت نفسا طويلاً بقدر ما إستطعت ثم غطست إلى الأعماق مرة أخرى ، وبلغتها بأسرع ما يكون ، ورأيت الظل مرة أخرى ، ودرت حوله ، وهكذا إكتشفت سر تونى ومارفى سكالى .

كان الصندوق صغيراً ولكنه كان ثقيلاً من غير شك . وشككت فى أن سكالى هو الذى صنعه بنفسه .

وعدت إلى السطح مسرعاً ، وكان صدرى يكاد ينفجر ، وأطرافى تؤلمنى ، ورحت أبحث عن الهواء ، وأنا أغالب إحساس الدوار الذى أخذ ينتابنى ، ثم نظرت ناحية العوامة ، والتقت عيناى بعينى مارفى ، وبدا لى كأن وجهها قد من حجر .

ذلك إنها فهمت .

وتعلقت بالعوامة دون أن أفارقها ببصرى . هل ستنتهز فرصة وجودى فى الماء وتهجم على؟ ... هل معها سلاح .

ولم تتحرك وأنا أتسلق العوامة . لم يكن معها سلاح ، ولم يسعنى إلا أن أحدق فى عينيها فقالت فى هدوء :

– وقع الأمر كما تظن تماما . كان أحد الأبواب مهشما فكشف عن النقود . وتكلم ليمسون بالتليفون من الموتيل . عرض علينا صفقة . قال إنه سيعطينا خمسة آلاف دولار ، وإنه لن ينطق بشيء ، على شرط أن يعيد تونى إليه النقود . ومضى تونى في وقت مبكر إلى الموتيل ، ولا أعلم كيف ولا أين قتله . وكل ما أعرفه هو إنه إتصل بى تليفونياً . وأخذنا سيارة ليمسون حتى سانت بول ، ثم عدنا هنا ، وأخفينا الجثة فى الصندوق الخلفى بإحدى السيارات الموجودة بالجاراج حتى فرغ تونى من صنع الصندوق ، ثم نقلنا الإثنين هنا أخيراً أثناء الليل . وأنت قد رأيت الصندوق ، أما جثة ليمسون فمدفونة فى الجزيرة .

– وتونى ؟

– كان حادثاً يا شارل .. وأقسم لك على ذلك .. يجب أن تصدقنى .

ومع ذلك فلم أصدقها ، وسألتها : – كم يوجد فى الصندوق ؟

– المبلغ كله . خمسة وعشرون ألف دولار ... كلها من فئة العشرين دولار . وقد وضعها تونى فى أكياس من النايلون ، بكل كيس ألف دولار . ماذا سيقع لى الآن يا شارل ؟ ... ماذا ستفعل بى ؟ .. هل تلقى القبض على ؟

لم يكن الوقت وقت تفكير ، ولو إننى ترويت وفكرت فربما ما كنت لأفعل ما فعلت .

قلت :

- مارفى ، يمكننا أن نتزوج بعد ستة شهور ، وهذا الوقت يكفى لكى أغازلك علانية .

أقلقتها كلماتى ، ورأيتها تتوتر ، وإتسعت عيناها شيئاً ما ، ثم ضاقتا من جديد . وحدقت فى بعينين قاسيتين وكنت أعرف ما يدور فى رأسها ، وقلت : - ولكن على شرط .. أريد أن تعطينى ستة آلاف دولار الآن فوراً ، فهناك بيت أريد شراءه ، وسنقيم فيه معاً .

قالت متلعثمة : ستة ...

ثم سكتت معترفة بذنبها .

وحدثتها عندئذ عن البيت وعن النقود التى إقتصدتها ، وراحت تصغى إلى فى إهتمام ، ولكن وجهها ظل جامد الأسارير ، وتساءلت هل تستطيع أن ترفض وأن تتحدانى ؟ ومهما يكن فهل كانت تعرف إننى لا أستطيع شيئاً ضدها .. لا إتهامها ولا القاءها فى السجن ؟ هل كانت تدرى أن باستطاعتها أن تفر بالنقود ، وإننى لن أستطيع الإهتداء إليها أبدا لكى أضعها أمام الرأى العام ؟

وفجأة ، وبدون أن تنطق أرتدت ثياب الغطس وألقيت بنفسها فى الماء ، وبقيت تحته مدة طويلة ، وصعدت أخيراً وتقدمت نحوى وألقت ستة أكياس من البلاستيك عند قدمى . وساعدتها على تسلق العوامة ، ورفعت عنها أنبوبة الهواء ، ونفضت الماء عن شعرها ، ثم تقدمت ووقفت أمامى تنظر الى وقد إرتسمت على شفتيها إبتسامة وقالت فى صوت منخفض :

- ألا تظن إنه يجب أن تقبل زوجتك المقبلة ؟

كانت خطتى سهلة ، ففى خلال الثلاثة أسابيع التالية ظهرت معها فى كل مكان منعا للثرثرة ورويت قصة عمة لى ماتت فى لوس أنجيليس . وسافرت إلى كاليفورنيا ، وقضيت فى لوس أنجيليس أسبوعاً لحضور الجنازة المزعومة ، ثم عدت ومعى ميراث صغير أى ستة آلاف دولار من فئة العشرين دولار ، وقلت أن عمتى من هؤلاء الأشخاص الذين لا يثقون فى البنوك ، ويحتفظون بأموالهم سائلة تحت يدهم ، وفتحت حساباً لى فى البنك أودعت فيه السته آلاف دولار ، ثم سحبتها من جديد فى اليوم الذى إشتريت به البيت عن طريق نفس السمسار الذى باع جاراج تونى .

وملأنى الطرب ، وشعرت بأننى أكاد أطير من الفرح حتى ذلك اليوم الذى دخل فيه أحد مندوبى وزارة الخزانة اللذين أعرفهما مكتبى ، وكان

يوم أربعاء . وكان يرافقه رجل غريب قدمه لى على إنه من رجال البوليس الفيديرالى وكانا يجران مارفى ، وكانت تبدو مذعورة ، وفهمت السبب عندئذ طلب مندوب الخزانة التسعة عشر ألف دولار وقال :

– كان برادستون قد باع شحنة من الأسلحة لعصابة فى فلوريدا لحساب ليمسون ، وقد ألقينا القبض على أكثر أفراد هذه العصابة . وقد قبض برادستون ثمن هذه الشحنة نقداً ، حصل عليه أصحابه من سطو على أحد بنوك ميامى . وعلى أثر هذا السطو نشر البنك أرقام الأوراق المالية ، وكلها من فئة العشرين دولار . وقد إنتقلت بعض هذه الأوراق منذ نحو خمسة عشر يوماً إلى أحد بنوك مدينة سانت بول . أرسلها إليه بنك هذه المدينة ، وقد تذكر البنك إنك أودعت هذه الأوراق حسابك أخيراً . لا فائدة من الإنكار أيها الشريف .

نظرت إلى مارفى ، كانت متوترة الأعصاب ترتعش وتبدو على وشك الإنفجار .

وإستطرد المندوب يقول : – ونحن نعرف كيف أن ليمسون جاء هنا وإنه التقى بك . وعندما أتيت منذ بضعة أسابيع قلت لك أننا سنقوم ببعض التحريات . وهذا ما فعلناه . وبين الأماكن التى نتحرى فيها عندما نبحث عن أحد توجد الموتيلات والفنادق وأحد هذه الموتيلات فى المدينة تديره مسز هولمز ، وقد حدثتنا عن النزيل الذى إختفى فى

ظروف غريبة ، وعن المكالمة التى تمت بينها وبينك . وقد أخبرتنا أيضاً أنك كنت تعرف هذا النزيل .. وإسمه ليمسون .

بدا كأن مارفى تريد أن تقول شيئاً . وإنفتح فمها ولكن لم يصدر منه أى صوت .

قال الرجل : – كان لابد لنا أن ندعك تضع الحبل حول عنقك أيها الشريف . ونحن نفترض الآن إنك إكتشفت أنت ومستر سكالى النقود المخبوءة فى السيارة المحطمة ، ولم يشر أى منكما إليها . ثم جاء ليمسون وطالب بنقوده ، فاضطرتما إلى التخلص منه ، ثم كان الدور عليك أنت والفتاة فتخلصتما من الزوج .

صحت محتجاً : – كلا ..

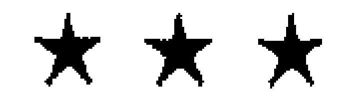
وهزت مارفى رأسها بدورها . كانت جالسة متوترة معتدلة القامة ، وفجأة إنكسر شىء فيها وإنهارت وندت عن صدرها شهقة .

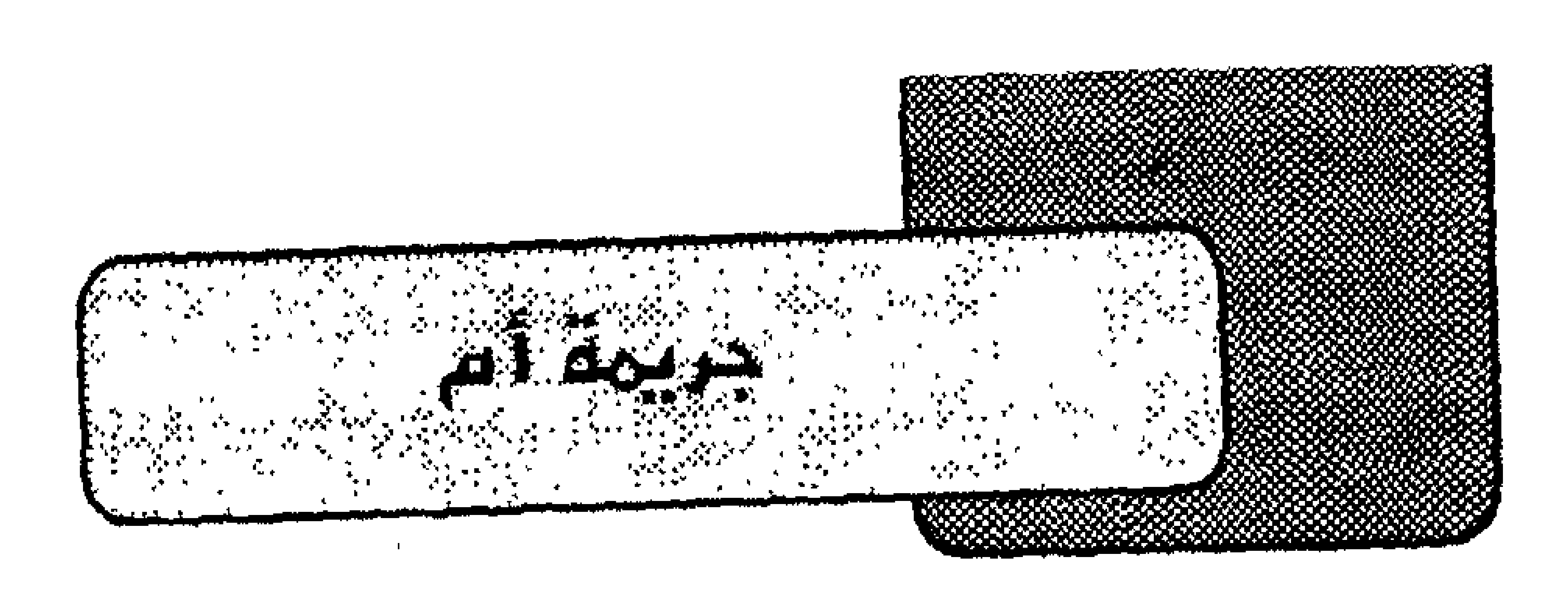
ولم أستطع أن أصدق أذنى ، فقد تمتمت :

– إنهما وجدا النقود ... هو وزوجى ... كانت فى السيارة . ثم جاء ليمسون هنا فقتلاه ، ثم قتل شارلى تونى بعد ذلك . قتله فى الجاراج بقضيب من الحديد . والنقود فى قاع البحيرة . ستجدونها هناك وستجدون جثة ليمسون مدفونة فى الجزيرة .

صرخت أقول إنها تكذب ، ولكنني كنت أعرف في تلك اللحظة من منا الذى يستهمونه بالسرقة والقتل ، ومن الذى سيعتبرونه شريكاً ... كنت أعرف من سيدينونه ويمضون به إلى غرفة المحكوم عليهم بالإعدام ومن التى ستعيش حتى إذا كان ولابد لها أن تقضى بقية حياتها فى السجن .

ولم يسعنى إلا أن أمضى معهما .





وصلت بعد فوات الأوان ، وقد عرفت ذلك من سيارات بوليس مدينة لوس أنجلوس السوداء والبيضاء التي تقف أمام البيت ، وبينما كنت أوقف سيارتي ، وقفت سيارة أخرى هبط منها داف بايك ، الرقيب بالبوليس الجنائي ، وكنا قد إشتركنا في العمل معاً منذ بضع سنوات ، وكان ذلك قبل أن نختلف أنا وأولو الأمر ، على طريقة إجراء التحقيقات ، وغدوت الآن مخبراً سرياً .

ورآني داف أهبط من السيارة فقال لزميله الجديد ان ينتظره ، ثم إقترب مني لكي يتحدث إلي .

– صباح الخير يا ستونبريكر ، لا تزعم أنك كنت تمر صدفة .

– كلا ، إنني أتيت من أجل العمل ، فإن عميلاً لي يهتم بالرجل الذي يقيم في البيت الذي ستمضي إليه .

– أتعني روبين فاسكيز ؟

– هذا هو إسم الرجل .

– في مقدور عميلك أن يتخلى عن إهتمامه به ، فقد مات فاسكيز .

ومضى داف إلى الطرقه المؤدية إلى البيت الأبيض الجميل فسألته :

– هل هناك مانع من أن أرافقك ؟

– هل يمكن أن تفيدنا ؟

– وما ادراني ؟

وتبعت داف حتى المدخل . وكان البيت صغيراً ونظيفاً ، كجميع البيوت التى تقع فى حى السيرنيو ، والناس الذين يعيشون فيها من المكسيكيين الأصليين ، ويفخرون بإنتمائهم إلى المكسيك .

وكان هناك بداخل البيت بعض رجال البوليس ، وبعض المصورين والفنيين الذين ينتمون إلى إدارة الشخصية ، وبرفقتهم شاب ملحق بمكتب قاضى التحقيق .

وكانت هناك أيضاً ، وبطبيعة الحال جثة .

فقد كان هناك رجل متهالك فوق مقعد من البلاستيك والمعدن ، فى وسط غرفة المعيشة . وكان وجهه ، فى الأماكن التى يظهر منها اللحم ، تحت الدم المتجمد أزرق اللون . وكان المقعد وسط بركة حمراء لوثت السجادة الرمادية . وكان مساعد القاضى قد فرش بضع جرائد فوق السجادة لكى يستطيع أن يقترب من الجثة . وكان الدم قد تسرب إلى بعض مواضعها

قرأ داف بايك ، في دفتر بسطه إليه أحد رجاله : القتيل يدعى روبن فاسكيز ، في السابعة والثلاثين من العمر ، يقيم في هذا البيت ولا يزاول أى عمل . وقد إكتشفت الجثة زوجته ليندا فاسكيز وإحدى جاراتها ، وتدعى مدام نونا ميريرا . وسبب الموت ...

ونظر الرقيب إلى مساعد قاضي التحقيق ، وكان يدور في حرص حول الجريدة المبتلة ، فقال :

– نزيف إبتدائي ناتج عن عدة طعنات من خنجر . وأكثر الطعنات التي بالوجه والصدر سطحية ، ولكن يمكنك أن ترى ، في أعلا الذراع ، القطع الذي أحدثه الخنجر في شريان الساعد .

قال داف : – أنه نزف حتى الموت .

هو ذلك . وقد إستمر قلبه يدق حتى فرغ الدم من شرايينه فمات .

– وكم من الوقت يلزم لحدوث هذا ؟

– ساعة . وربما ساعتان ، فالموت في مثل هذه الحالة لا يقع سريعاً كما يحدث عادة عند قطع شريان الفخذ .

ولم أشأ أن أنظر إلى الميت أكثر من ذلك ، ولهذا عبرت الغرفة وأنا أحرص على تجنب البركة الحمراء ، وألقيت نظرة إلى باب يفضي إلى غرفة النوم . كانت هناك امرأة سوداء العينين ، جالسة على الفراش ، شاردة النظرات وأمامها إحدى نساء البوليس ، تعاونها على إحتساء

قدح من القهوة ... وأدركت إنها الأرملة ، وكانت قد تجاوزت سن الجمال ببضع سنوات . ولكن وجهها كان لا يزال يحتفظ بملامح الهندية ورقة الأسبانية . وهما سمتان يكسبانها جمالاً مثيراً إلى وقت طويل .

وإنضم داف بايك إلى وقال :

- هل لك أن تذكر لى رأيك فى كل هذا ؟

لزمت الصمت دقيقة أو دقيقتين ريثما اتخير المعلومات التى أرى أن أقدمها له . كان يجب أن أرد على أسئلة داف طبعاً، ولكن فى حدود الثقة التى يولينى إياها العملاء الذين يلجأون إلى . ولولا إهتمامى بهذه النقطة لما أصبت أى نجاح فى عملى ، فأن الناس يحرصون عادة على الإحتفاظ بأسرارهم .

قبل ذلك بساعتين جاءنى ذلك الرجل المسن إلى مكتبى ، ويقع فى حى الأعمال بلوس أنجلوس ، وجلس أمامى فى هدوء ووقار بينما رحنا نناقش مسألة الأتعاب . وأتعابى ليست مرتفعة ، ولكننى لا أعمل مقابل لا شىء . وكان الرجل المسن يدعى أنطونيو فاسكيز ، وقد أخبرنى بسبب قدومه قائلا : - إننى أتيتك بسبب إبنى . إنه وقع فى متاعب مع المافيا المكسيكية .

سألته : أى نوع من المتاعب .

إعتدل الرجل العجوز فى جلسته ، وألقى نظرة من خلال النافذة وقال فى مشقة : - إن إبنى مرشد ، وقد أرشد البوليس إلى بعض

المجرمين فى سوليداد نظير إطلاق سراحه . وهو طليق الآن ، ولكن هؤلاء الأوغاد يعرفون ما فعل . وقد أصدروا أوامرهم بمجازاته .

وكنت قد عرفت كيف تجازى المافيا المكسيكية الخائنين . وهم يسمون طريقتهم هذه بصيد الحمام ، والضحايا الذين يموتون محظوظون حقاً .

وسألته على العموم : هل تريد أن أخطر البوليس ؟

تألقت عيناه بالازدراء وقال :

– ولماذا ؟ ما هو إلا مكسيكى بالنسبة لهم ، ولا يضرهم إذا نقص المكسيكيون واحداً أو إذا زادوا واحدا ، ولكنه بالنسبة لى إبنى الوحيد .

– وما هى نواياك ؟

– أن تخطره بالخطر الذى يتهدده . إننى رجل مسن وضعيف ، وسوف يسخر من مخاوفى . ولكنه يعرف إسم ستونبريكر ، وسوف يصغى إليك .

لم أكن واثقاً من ذلك ، ولكننى لم أناقشه .

ونهض الرجل العجوز وصقل بنطلونه ، ولم يكن متجانساً مع جاكتته . ثم غادر المكتب .

وعندما ذهبت بسيارتى إلى بيت روبن فاسكين لم يكن فى ذهنى غير برنـامج مبهم ، هو أن أحمله على مغادرة المدينة بعض الوقت . ولكن ، حين رأيت سيارات البوليس أدركت أنه لم يعد هناك أية أهمية لهذا ، فقد وصلت بعد فوات الأوان .

ووقفت الآن بجوار داف بايك ، أمام جثة روبن التى إستحال لونها إلى اللون الأزرق ، وخطر لى إننى مازلت أستطيع إكتساب أتعابى بالقبض على قاتليه .

وقال داف فى إصرار : حسناً يا ستو نبريكر ... ما الذى تعرفه ؟

رويت له قصة المافيا المكسيكية ، ولم أخف عنه إلا إسم عميلى ، فإن البوليس سوف يتصل به بعد قليل . ودون داف بعض الملاحظات وهو يصغى إلى . وسألته :

– هل تعرف سوابق روبن ؟

– إنه كان وغداً ... إعتداءات ، ومخدرات ، وسوء معاملة للأطفال وما إلى ذلك ... وإذا أردت الحق فإن المافيا المكسيكية قدمت خدمة جليلة للمدينة :

عادت كلمات أنطونيو فاسكيز إلى ذهنى ، فسألته :

– هل تنوى أن تستمر فى التحقيق ؟

توترت عضلات وجهه لحظة ثم قال فى لهجة جافة :

– سنفعل تماماً كما نفعل إزاء كل جريمة قتل .

كان داف بايك شرطياً شهماً ، وكان يتكلم بكل جد ، وليس الذنب ذنبه إذا كانت إدارة البوليس لا تولى بعض القضايا ما يكفى من الوقت كغيرها .

سألته : – هل ستتحدث إلى الأرملة الآن ؟

– نعم . ولن استبقيك أكثر من هذا إذا كان لديك ما يشغلك .

قلت :

– لا تغضب . قليل من العون من نحوى قد يفيد ، ولن أكلفك شيئاً .

زمجر قائلاً : – حسناً . إبق هنا إذن ، ولكن حاول أن لا تظهر كثيراً ، فإنك بجسمك هذا ووجهك الغريب قد تخيف الشهود .

وكان على حق فى هذه النقطة . ولهذا مضيت وإعتمدت بظهرى على الجدار ، فى حين طلب داف من ليندا أن تروى له ما حدث .

قالت : – هما إثنان . جاء فيما بين الساعة الخامسة والسادسة ، بينما كنت أقوم بإعداد طعام العشاء . وكان أحدهما يحمل سكيناً ، والآخر مسدساً . وأراد روبن أن يتفاوض ، ولكن صاحب المسدس ضربه به فلم يقل شيئاً بعد ذلك . وقيد الرجلان روبن إلى مقعد ثم أوثقا يدى وقدمى ، ووضعا شريطاً لاصقاً فوق فمى ، وحبسانى فى غرفة الحمام .

كانت عينا المرأة جافتين ، ولم يكن فى صوتها أى إنفعال وهى تروى قصتها . وإسترسلت تقول :

– وسمعت روبن يصرخ ، ولكن فى صوت خافت كما لو كانا قد وضعا فوق فمه شريطاً لاصقاً هو الآخر . وبعد لحظة فتح الباب الأمامى ، ثم أغلق من جديد ، ولم أعد أسمع شيئاً فتحاملت على ركبتى ، وإستطعت أن أنتقل من مكانى وأنا موثقة القدمين واليدين وبحثت فى كل مكان من غرفة الحمام عن شىء حاد . ووجدت مقصاً

إستخدمته فى قطع فيودى أخيراً . ورفعت الشريط اللاصق عن فمى وناديت روبن ، ولكنه لم يرد . وكان باب غرفة الحمام موصداً من الخارج فوثبت من نافذتها ، وكانت جارتى ، مدام هيريرا ، واقفة خارج بيتها . فرأتنى وصحبتنى إلى الباب الأمامى ، ودخلنا ، ووجدنا ... ماتراه الآن . وأسرعت إلى روبن لعلنى أستطيع مساعدته . كان يبدو فى أسوأ حال ، ومع ذلك فقد أسرعت إلى الحمام لكى أبحث عن بعض الضمادات ، ولكنه كان قد فارق الحياة أثناء ذلك .

وطلب داف منها أن تصف له الرجلين ، فراحت تصفهما كما يفعل جميع الناس فى مثل هذه الظروف . كانا مكسيين ، معتدلى القامة ، كل منهما بدين الجسم ، لا يميزه شىء خاص ، وليس فى ثيابهما أى شىء عادى . وخرجت من غرفة النوم ، فى حين راح داف يحاول أن يعرف منها المزيد .

كانت بعض آثار الأقدام ممتدة من روبن فاسكيز حتى غرفة الحمام ، حيث جرت ليندا لكى تبحث عن الضمادات التى لم يعد لها أى نفع . وخرجت من الباب ودرت بالبيت حتى بلغت الفناء الداخلى ، ورأيت على العشب القصير ، تحت نافذة الحمام أثرا لقدمين ملوثين بالأحمر ، هى قدماً ليندا الصغيرتين .

وفى الناحية الأخرى من البيت ، كان زميل داف يستجوب امرأة ضخمة متينة الجسم ، ذات حاجبين كثيفين وإقتربت بما فيه الكفاية لكى

أعرف أنها تدعى مدام هيريرا ، وأنها جارة ليندا . وإتفقت قصتها عن إكتشاف الجثة مع قصة ليندا فاسكيز . وعندما رأت إننى أصغى . قطبت جبينها ، فرددت عليها بابتسامتى الرقيقة التى تخيف الكلاب والأطفال . وإزداد عبوسها ، فإبتعدت على الفور لكى يتمكن الشرطى من الإستمرار فى إستجوابه .

ورحت أتمشى إلى أن فرغ داف بايك من حديثه مع الأرملة ، ثم خرجت معه إلى الشارع فى حين أخذوا ينقلون الجثة .

وسألته : — هل وجدت شيئاً ؟

— طبعاً . أن الوصف ينطبق على نصف الأهالى ، وسأقبض عليهم فوراً .

قلت : — آه . أرجو لك التوفيق إذن .

— وأنت ؟ ... ماذا ستفعل ؟

— سأبقى فى المكان قليلاً ، وسأتحدث مع السيدة .

— ستونبريكر ... ألا تخفى عنى شيئاً ؟

— أقسم لك بشرفى أنك تعرف بقدر ما أعرف أنا .

حدق داف فى لحظة ثم هز رأسه وصعد إلى سيارته ، وإنطلق بها .

وما أن أختفى رجال البوليس ، حتى خرجت مدام هيريرا من الباب المجاور ، فى خطوات ثقيلة ، ووقفت بداخل غرفة المعيشة ، كما لو كانت تريد أن تضفى حمايتها على الأرملة . واضطررت أن أتحدث إلى هذه الأخيرة من فوق كتفيها .

– مدام فاسكيز ... هل رأى أحد آخر هذين الرجلين ؟

– كلا . لم يرهما أحد غيرى ، فإننى أقيم وحدى منذ أن إضطررت إلى إرسال إبنى لكى يقيم مع أختى . ولكنه سيستطيع أن يعود إلى البيت الآن .

– ألم يرهما أحد من الجيران ؟

– لقد إستجوب البوليس جميع الأهالى بالشارع . لم يرهما أحد .

وتكلمت مدام هيريرا عندئذ ، وكانت قد أصبحت تأنس إلى قليلاً ، منذ أن عرفت إننى لست من رجال البوليس . قالت :

– لعل أولئك الصبية رأوا شيئاً .

– أية صبية ؟

– هؤلاء المراهقين الذين يتسكعون هنا . كانوا فى الناحية الأخرى من الشارع ، ومعهم أدوات الطلاء . لعلهم رأوا شيئاً .

ودعت المرأتين وإجتزت الشارع . كانت الشمس قد بدأت تغيب ، وأوشك النهار أن يختفى . وعلى جدار الجاراج المقابل كانت هناك بعض النقوش المخطوطة بالطلاء الأحمر التى يتميز بها جيل اليوم من المراهقين . وكان هناك نقش قديم عبارة عن هذه الحروف ف . ن . ١ . ١٣ . و . ف تشير إلى كلمة فاريو ومعناها « حى » ، وحرفا ن . ا . يشيران إلى نويفا إسترادا ، أما الرقم ١٣ فيشير إلى الحرف الثالث عشر من الحروف الأبجدية وهو حرم الميم . ومعنى العبارة كلها هو « حى نويفا إسترادا » . أما الميم فاشارة إلى أن فتية الحى يدخنون الماريجوانا .

وركبت سيارتي ومضيت بها إلى مشرب برونتو ، بشارع سان بنيتو حيث كنت أعرف أن فتية الحي يجتمعون هناك . وإعترض إثنان من المراهقين طريقي في عداء ظاهر ، وسألني أحدهما :

- ماذا تريد أيها الجاسوس ؟

- أريد أن اتحدث إلى روجو .

- هل أنت شرطي ؟ - كلا . إن إسمي ستونبريكر .

وبينما كان المراهقان يتشاوران ، خرج فتى من المشرب ، بوجهه نمش وله شعر أشقر ، ماكاد يراني حتى أسرع إلى مبتسماً وقال :

- ستونبريكر ؟ ... ما الخبر يا صديقي ؟

وعندما رأى المراهقان إنني لست خطرا عليهم حولا إهتمامهما إلى شيء آخر ، وعاد روجو يسألني قائلاً :

- أية خدمة أستطيع أن اؤديها لك أيها الصديق .

وكنت قد تمكنت من إنقاذ أخته من موقف حرج قبل ذلك بعدة شهور ، ولم يكن من الذين ينسون الجميل . وسألته قائلاً :

- ألم يكن بعض أصدقائك يقومون بكتابة بعض الرموز على أحد جدران شارع مالابار ، فيما بين الخامسة والسادسة من مساء اليوم ؟

- ربما . ولكن لماذا تسأل ؟

- هدىء من روعك يايريد . إنني لا أقوم بعملية تطهير ، ولكن ربما رأى أصدقاؤك شقيين أثناء دخولهما بيتا على الرصيف المقابل . إذا كان هذا قد حدث فإنني أريد أن أعرف من هما .

- سأذهب للإستطلاع .

وإبتعد بضعة أمتار ، وتبادل الحديث مع بعض أصدقائه ، وكانوا يتكلمون باللغة الأسبانية العامية التى يتكلمها الأوباش . وعاد بعد قليل وقال : إنهم رأوا الرجلين فعلاً ولكن لماذا تبحث عنهما ياستونبريكر ؟

إنهما أوثقا رجلا إلى أحد المقاعد ومزقاه بالسكين بعد ظهر اليوم .

- أهو صديق لك ؟

- كلا وإنما عميل .

- من الأوفق أن تتناسى أمرهما إذن ، فإنهما شديدا الخطر .

- ولكننى أهتم بالأشخاص الشديدى الخطر . من هما ياروجو ؟

- حسناً . هذا شأنك أنت على كل حال . إنهما الأخوان جارزا ... جو واجنا شيو جارزا ... المافيا الأسبانية ... لن تسرهما زيارتك .

- وأين أجدهما ؟

- فى بارويدونو ... هل تعرفه ؟

- نعم . إلى الملتقى ياروجو .

- بل وداعاً .

وكان يبدو مهموماً .

ولو إننى كنت مواطناً طيباً لنقلت المعلومة إلى رجال البوليس ، وابقيت منزوياً لا يعلم أحد عنى شيئاً ، ولكننى كنت أعرف ماسوف يقع عندئذ ، فإن رجال البوليس سيستجوبون روجو ، فينكر كل شىء ، ويبقى الأخوان جارزا فى أمان ، وأفقد أنا صديقاً ، ولهذا لم أتكلم مع داف بايك فى التليفون .

ويقع بار رويدوزو فى مانجو ، على مقربة من شارع سوتو ، وبه صالة للعب البلياردو . وتركت سيارتى فى الموقف أمام البار ، ودخلت ، وكان للمكان رائحة المراحيض .

وقلت لصاحب البار : - إننى أبحث عن الأخوين جارزا .

أسرع الرجل يقول : - إننى لم أرهما .

ولكن عينيه كذبتاه ، لأنه ألقى نظرة سريعة إلى البلياردو ، فى آخر البار ، حيث توقف اللعب عند دخولى . وأتيت بحركة إلى الخلف ، فعاد الرجلان إلى اللعب على الفور . كان أحدهما نحيفاً كقطعة من الخيط ، ويلبس جاكتة زرقاء ونظارة طيار ، وأما الآخر فكان قصيرا وبدينا كالبرميل .

وانحنيت ، وأمسكت بكرة البلياردو فى نفس اللحظة التى سدد فيها ذو الجاكيت الزرقاء مضربه وقلت :

- إننى أبحث عن الأخوين جارزا ، فهل ترانى أتحدث اليهما ؟

وأنا لست بطيئاً فى العادة ، فإن البطء فى مهنتى هذه يمكن أن يكلفنى حياتى ، ومع ذلك فقد أبطأت هذه المرة أكثر من المعتاد ، عندما صاح النحيف : - أضربه ياجو .

وما كدت استدير حتى تلقيت ضربه شديدة على أم رأسى ، أفقدتنى الرشد .

عندما عدت إلى نفسى كانت هناك قدم فوق وجهى ، والألم الشديد يسرى فى صدغى وتتابع دقاته سريعة مع دقات قلبى . وعندما

إستطعت أن أتغلب على ألمي رأيت إنني ملقى في أرضية مؤخرة سيارة وإن السيارة سيارتي أنا بالذات وقد عرفت ذلك من صوتها المميز .

وفتحت عيني ، ونظرت إلى أعلا ، ورأيت أن القدم الذي فوق وجهي لجو البدين . وكان معنى هذا إن اجناشيو هو الذي كان يقود . وعرفت من الفراغ الذي تحت ذراعي أنهما أخذا مسدسي . ولا ريب أن جو كان يصوبه الآن نحوي .

وإهتزت العربة عندما صعد اجناشيو بها فوق افريز ، ودلتني طبيعة الأرض على إننا تركنا الطريق الممهدة .

وتوقفت العربة وهي تهتز بشدة ، وداست قدم جو على رأسي التي تؤلمني ، وضغطت على فكي حتى لا أصرخ .

وجاء صوت اجناشيو من المقعد الأمامي للسيارة قائلاً :

هذا هو أنسب مكان .

وخرج الإثنان من السيارة معاً ، وأخذ يجراني من قدمي ليخرجاني منها . وكان من الواضح أن الخوف إستولى عليهما وإنهما ينويان قتلي ويريدان إستخدام سيارتي بعد ذلك للفرار ، وإلا لقتلاني في البار .

ومن غير أن أبدي ما ينم على إنني عدت إلى الرشد تثاقلت ، وعندما أخرجا نصف جسدي خارج الباب دبرت أمري بحيث شبكت كم سترتي في الرافعة التي تستخدم لنقل المقعد . وقام جو جارزا بمحاولتين ، عبثا . ثم أطلق سبة بالأسبانية ، وأنحنى داخل العربة لكي يحرر كمي . وعندما أمسك بالكم رفعت يدي الطليقة وأمسكته من يده

ودفعتها فوق كتفى بكل ما أوتيت من قوة ، وإبتسمت فى قرارة نفسى عندما سمعت عظمة كوعه تطقطق ويلتوى ذراعه إلى الخلف .

وصرخ جو جارزا لفرط الألم ، ووقع شيء ثقيل من يده الأخرى على ساقى ، وإندفعت خارج العربة ، ورحت وأنا على أربع ، أتحسس أرضيتها فى الظلام ، ولم البث أن وضعت يدى على مسدسى . وإنقلبت على ظهرى ورأيت جو جارزا وقد أمسك سكينا فى يده السلمية وإندفع نحوى ، ومن خلفه اجناشيو وهو بصرخ فيه أن يخلى له الطريق .

ولم أجد وقتا للإختيار فصوبت الجز الأكبر من جو جارزا الذى يهجم على وأطلقت النار . وزمجر جو عندما أصابته الرصاصة فى صدره ، وتجاوزنى ببضع خطوات ثقيلة قبل أن ينهار فوق العشب .

ودوى شيء خلفى ، فى غضب ، فتحولت لكى أرى اجناشيو جارزا يطلق الرصاص على . كان يمسك فى يده مسدساً صغيراً ، إلا إنه كان يمكن أن يصيب مقتلاً ، وكان هذا آخر خاطر مر برأسى قبل أن يصيبنى اجناشيو واقع وفى فمى طعم الدم .

وإذا نحن صدقنا الجمهور تكون رأسى من الجرانيت ، وهذا غير صحيح لأنه أصيبت فى نفس الليلة بضربة ثقيلة أحدثت فيها ورما كبيراً ، ثم أصابتها رصاصة عيار » . وكانت الأضرار الخارجية ظاهرة ، أما من الداخل ، فقد كان عقلى لا يزال سليماً نشيطاً .

وبعد لحظة إستنتجت إننى لم أمت ، لأن الموتى لا يحسون بالألم . وفى بطء شديد رفعت رأسى عن العشب الرطب ، ورددت البصر

حـولى ، فلم أر أحداً ... لم يكن هناك غير سيارتى ، وكانت واقفة ، وأحد أبوابها مفتوح .

وحركت جسدى شيئاً فشيئاً حتى وقفت أخيراً . وغامت الدنيا بى ، ودارت ذات اليمين وذات الشمال ، ثم إستقرت أخيراً . وعرفت أين أنا . كنت فى منتزه مازارد ، بجوار شارع سوتو . ومشيت إلى سيارتى فى بطء ، وركبتها . ورأيت أننى لم أكن وحدى .

كان جوجارزا موجودا فوق المقعد الذى بجوار مقعد السائق . وكان فى صدره ثقب وعلى وجهه تعبير خال من الحياة . وفتحت الباب من ناحيته ، ودفعت به إلى الخارج .

وعندما أدرت مفتاح الحركة لم يقع شىء . وكان هذا يحدث ثلاث مرات من أربع تقريباً . فدسست يدى تحت لوحة القيادة وهززت الأسلاك لكى أعيد التيار . ولم يكن اجناشيو يعرف ذلك . وعندما لم يستطيع قيادة السيارة . بعد أن أطلق على النار تملكه الفزع ، وهرب تاركا أخاه ، وما كان هذا الأخير ليحقد عليه لهذا السبب .

وخرجت من المنتزه ، ومضت إلى شارع سوتو ، فى طريقى إلى الجنوب . كانت هناك رسالة تحاول أن تقول إن هناك شيئاً عاجلاً لابد منه ولكن رأسى لم تستطيع أن تسجل أى شىء وراحت أنوار الفوانيس تخبو ثم تزيد أمام عينى قبل أن تنطفىء تماما فى نفس الوقت الذى إنعطفت فيه إلى شارع مألوف . وتجاوزت بيتين ثم وقفت .

ولاريب إننى ترنحت وأنا فى طريقى إلى البيت ، ولكننى لا أذكر

شيئاً . وكل ما أذكره بعد ذلك هو سقف غرفة النوم ببيت فاسكيز ، الذى رحت أنظر إليه ، ووجه ليندا فاسكيز المذعور وهو منحن فوقى ، فى حين راح شىء بارد يثقل على وجهى الجريح .

قالت : هل تسمعنى يا ستونبريكر ؟ ... هل إستيقظت ؟

زمجرت : نعم . أطلبى البوليس .

– سوف أفعل حالاً . ولكن هل أنت أحسن ؟ -

– لا أدرى . إطلبى البوليس .

إبتعدت عنى ، تاركة المنشفة المبتلة فوق عينى وجبينى ، ودق حذاؤها العالى على الأرض العارية لغرفة المعيشة . ولاريب إن بعضهم رفع السجادة الملوثة بالدم . وسمعتها ترفع السماعة وتدير القرص . وعندما بدأت أعود إلى أرض الأحلام إنفتح الباب الأمامى للبيت فى عنف ، وراحت أقدام أخرى تدق على أرضية الغرفة .

وكان الصوت النائح أكثر جدة ، وأشد إنفعالا عما سمعته آخر مرة فى المنتزه : – إننى أنذرتك بما سوف يقع لك ان انت تكلمت مع البوليس ... سأجعلك تندمين الآن قبل أن أقتلك .

قالت ليندا فاسكيز متوسلة : – كلا . لا تفعل هذا . إننى لم أقل شيئاً . إننى قلت لهم إننى لا أتذكر أوصافكما .

– اصمتى . قلت ذلك لستونبريكر ، وقد مات أخى الآن . كان يجب أن أدع جو يقتلك أنت أيضاً بعد أن تخلصنا من زوجك . ولكننى كنت كريماً جداً وقلت لجو يكفى أن تقيدها وأن تمضى بها إلى غرفة الحمام إنها لن تتكلم .

راحت المرأة تطلق صرخات قصيرة نائحة .

وعندما رفعت المنشفة من فوق جبيني ، أحرق الضوء عيني ، وأخرجت ساقي من الفراش ، وبقيت جالساً لحظة ، وأنا أعد من واحد إلى خمسة . وأنا أجمع قواى لكى أقف .

ومن غرفة المعيشة سمعت صوت لكمة عنيفة فوق اللحم والعظام ، ووقع جسد فوق الأرض . وراحت ليندا فاسكيز تتوسل فى صوت مذعور : أوه ، كلا . أرجوك . لا تفعل هذا . أرجوك ... كلا . إننى لم أقل شيئاً لأى أحد ... أقسم لك على هذا .

وأخذت مسدسى فى يدى ونهضت . كان باب غرفة النوم موارباً نحو خمسة عشر سنتيمترا . وتقدمت وأنا أترنح ، ودفعت الباب بقبضة يدى ، ورأيت اجناشيو يصوب مسدسه نحو المرأة التى تكومت فوق الأرض العارية .

وعندما رأى إجناشيو وجهى البشع الجريح ففمر فمه مشدوها . ولكن الحقد لم يلبث أن حل محل الدهشة وأدار مسدسه نحوى . وقبل أن يضغط على الزناد كنت قد أطلقت النار فى فمه .

وأتممت المكالمة التليفونية التى كانت ليندا قد بدأتها مع البوليس ، وإنتظرنا قدومه فى المطبخ .

قلت : أريد أن أسألك شيئا قبل أن يأتى البوليس .

– قل . كانت هادئة الان ، وعلى وجهها علامة حمراء ، فى الموضع الذى لكمها اجنا شنيو فيه .

– هل كان زوجك قد مات عندما دخلت ونظرت إليه فى المرة الأولى ؟

– إنك سمعت قصتى للبوليس ، وقصة مدام هيريرا .

– بل أعنى عندما دخلت وحدك يا ليندا .

فتحت فمها لكى تنكر ، ولكنها لم تلبث أن غيرت رأيها وتكومت فى مقعدها ، وقالت : – لا أدرى . كان لا يزال ينزف قليلاً . ولعله كان على قيد الحياة . وربما كان فى مقدورى أن أسعفه .

– ولكنك لم تحاولى ذلك .

– كلا .

– لماذا ؟

– هل ترى هذه الصورة التى فوق التليفزيون يا ستونبريكر ؟

نظرت عبر الباب إلى الصورة الموضوعة فوق التليفزيون بغرفة المعيشة ، وكانت لصبى فى الرابعة من عمره ، أسمر العينين .

قالت : هذا هو إبنى مانى . وقد مات أبوه بعد التقاط هذه الصورة بشهر . وبعد سنة تزوجت روبن فاسكيز . ومانى ، فى هذه الصورة ، يبدو بأصابع يده كلها . أما الآن فإن يده اليمنى ليس بها غير ثلاثة أصابع ، لأن روبن غضبت ذات يوم ، كان مانى يبكى فيه ، وأمسك بيده فوق نار الموقد . وكنت أرجو أن يكون روبن قد تغير بعد خروجه من السجن . فقد سألته عندئذ إذا كنت أستطيع أن آتى بابنى لكى يقيم معنا ، فقال إننى إذا فعلت ذلك فسوف يحرق يده الأخرى .

سألتها : وماذا حدث بعد ظهر اليوم إذن ؟

– كما قلت لك . قطعت قيودى ، وخرجت من نافذة غرفة الحمام ، ولم يرنى أحد . ومضيت إلى الباب فوجدت روبن متهالكا ينزف دمه . وإذا كان لم يمت ، فقد كان وشيكاً أن يموت . وعدت إلى غرفة الحمام ، ورحت أنظر من النافذة إلى أن خرجت مدام هيريرا ناديتها ، وتسلقت

من النافذة وخرجت كما رويت لرجال بوليس . ومضينا معاً إلى الباب العمومي . وفي هذه المره لم يكن هناك أى شىء ، فقد مات روبن . وأسرعت إلى غرفة الحمام ، وتظاهرت بأنني أدير المفتاح في القفل . ثم دخلت لكي آتي بالضمادات .

وبقيت لحظة واحدة وهى تطرق بعينيها إلى الحصيرة ثم نظرت إلى قائلة : – كيف عرفت ذلك يا ستونيبريكر ؟ ... كيف عرفت إنى عندما دخلت مع مداد هيريرا ، ولم تكن المرة الأولى .

– إنك تنسقين بيتك جيداً يا ليندا . وكان فى مقدورك أن تجدى المقص بأسرع مما ذكرت للبوليس . من ناحية أخرى ، كانت هناك آثار لقدميك تحت نافذة غرفة الحمام .

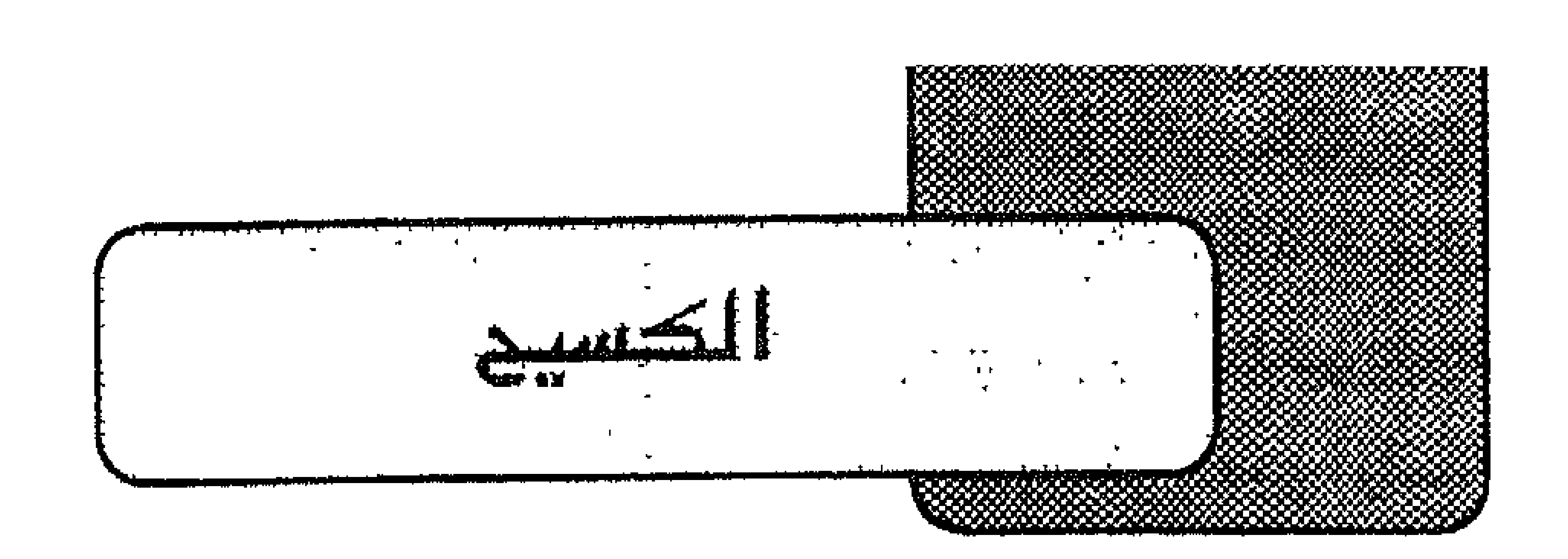
– ولكننى حرصت على أن أضع قدمى فى نفس المكان فى المرة الثانية .

– ولكنك نسيت أن تنظفى حذائك . كان العشب ملوثا بالدم حيث وضعت قدميك . ومعنى هذا إنك كنت فى غرفة المعيشة .

– ماذا ستقولى للبوليس ؟ – الحقيقة . هى إن جو واجناشيو جارزا هما اللذان قتلا زوجك . وماذا ستقولين أنت لهم ؟

نظرت إلى لحظة طويلة بعينيها السوداوين المستغلقتين وطرق رجال البوليس الباب العمومي فى هذه اللحظة ، فمضت لكى تفتح لهم .





كانت الغـابات معتمة وباردة ومبتلة ، بعد هطول المطر الأخير . وأحس الرجل المسن بالطراوة والرطوبـة على وجهه ، وعلى يده اليـسرى ... ولكنه لم يحس بهما في أى مكان آخر من جسمه ، ففيما عدا تلك اليد اليسرى الملقاة فوق مسند مقعده المتحرك كان مشلولا ، من قمة رأسه إلى أخمص قدميه .

لم يكن يعرف هذه الغابات على الرغم من إنه أقام فى حدودها منذ ثمانية عشر عاما ، فلم تأت به أى من إبنتيه العزيتين . إليها أبدا . ولكنه قضى الساعات ، تلو الساعات فى شرفة بيته ، يتأمل ذلك الخط الأخضر الطويل الذى لا نهاية له ، وهو يتساءل ما الذى هناك بعد ذلك ويتمنى أن يذهب إليها ... وحده ... كان هذا هو أهم شىء ... وحده .

وقد حانت الفرصة اليوم أخيراً .

وكان اليوم يوم خميس ، وكانت إبنته مادلين قد خرجت منذ ساعتين لتتسوق حوائج البيت . أما إبنته الأخرى كارولين فقد ذهبت إلى تلك الندوة الأدبية التى إعتادت الذهاب إليها كل يوم خميس . ثم إن العادة المتبعة قد شذت عن المألوف فى ذلك اليوم فإن مدام جريجورالتى كانت تعنى به حتى تعود إبنته فى الساعة الخامسة لم تأت على الإطلاق .

ولم يدر لماذا لم تأت ، ولم يهتم بذلك . بل إنه هنا نفسه بكل بساطة فقد مضت ثمانية عشر عاما منذ أن وقعت تلك الحادثة .. منذ ذلك اليوم الذى صدمهما ذلك السائق الثمل الأرعن بسيارته الكاميون ، هو وزوجته ، فأوقعهما على الأرض المبتلة بالماء وقتلها على الفور ، وأصابه هو فى عموده الفقرى وشوهه إلى الأبد ... ثمانية عشر عاما . وها هو قد أصبح الآن وحده ، ولا أحد معه فى الغرفة المجاورة . وأصاغ السمع ... ليس هناك أحد فى البيت كله لكى يأتى فجأة ويرى أن كان بحاجة إلى شىء ... إنه وحده ... وحده .

ولم يكن الخروج من البيت بالأمر السهل ، فقد كانت كل الأبواب المؤدية إلى الشرفة مفتوحة ولكن الباب الوحيد المؤدى إلى المنحدر الذى أقيم خصيصاً مكان سلم الخدم كان موصدا بعارضة من الخشب مثبتة إلى الحائط بواسطة رزة . ولكن لم يكن بإستطاعته أن يفتحه مع ذلك .

بيد أنه كان قد عقد العزم على الخروج ، وقد أفلح ، فقد كان المقعد المتحرك مزوداً بمحرك وأجهزة بذراعه اليسرى بحيث إنه إذا ضغط بسبابته على بعض مفاتيحه إستطاع أن يحركه إلى الأمام أو أن يعود به إلى الخلف . ثم إن به حلقة يستطيع إذا عالجها بيده اليسرى أن ينتقل بالمقعد من غرفة إلى أخرى ، وإن يندفع به إلى الأفريز عندما تخرج به كارولين أو مادلين لكى يقوم بنزهته اليومية القصيرة . وقد أقامتا صعوبات كثيرة قبل أن يقدما له هذا المقعد ، ولم يكن هذا يرجع إلى سوء نية منهما ولكنهما كانتا تخشيان عليه ، وكانتا تعاملانه كما لو

كان طفلا ، وقد توسل إليهما وأصر وإستعطف حتى قبلنا أخيراً وبناء على ذلك فقد وقف بمقعده على بعد ثلاث أمتار من الباب الموصد ثم ضغط على أحد المفتاحين ، وإندفع بالمقعد إلى الأمام فارتطم بالباب فى قوة ثم ارتد إلى الخلف لكى يتخذ وضعه الأول . وقام بهذه المحاولة ست أو سبع مرات قاومه فيها الباب ولكن الرزة طارت من مكانها فى المرة التالية وإنفتح الباب وهو يهتز ، فهبط المدرج وإجتاز الفناء فى بطء متجها نحو الغابة . ولم يلبث أن بلغها .

وكان ينطلق الآن فى جوف الغابة بين الأشجار . ولم يعرف أين ذهب بالضبط ولا كم من الوقت مر به . وكانت الأصوات الوحيدة التى تتناهى إلى أذنيه هى زقزقة العصافير وصوت العجلات المطاطية لمقعده وهى تنزلق فوق الأوراق المبتلة . وبلغ دغلا سميكاً لو أنه كان يستطيع أن يقف على ساقيه لتمكن من دخوله ، ولكن كان يتعذر عليه أن يتقدم بالمقعد بداخله وعالج جهاز التوجيه ، ومشى بمحازاة الغابة ودار ببعض الأشجار ، وبلغ أخيراً مرجة كبيرة تبلغ مساحة ملعب لكرة القدم .

كان السكون المطبق يخيم على هذا المكان الهادىء . وإبتسم العجوز إبتسامة مبهمة وهو يتذكر وجه امرأة أخرى منذ سنوات طويلة ، ومارتا جالسة إلى جواره فوق ملاءة ، ولمسة شفتيها ونعومة شعرها ، ثم لم تلبث أن أمحت الإبتسامة عندما حلت محل كل ذلك تلك الذكرى التى مازالت حية لتلك الليلة التى صدمتهما فيها السيارة ذات العينين الصفراوين ، ولكنه سرعان ما أبعد هذه الذكرى عنه ، وكان قد عرف كيف يبعدها عنه خلال السنوات الماضية .

وإنطلق الرجل خلال المرجة ، ورأى من خلال الأشجار التى تحدها من الناحية الأخرى إنعكاس الماء الرمادى الكامد فحول وجهته ، وتقدم فى إنحراف نحو بقعة من الأرض ، مرتفعة بعض الشيء ، أفضت به إلى دغل غير كثيف . ووجد نفسه على حافة جرف وعر يعلو بنحو ستة أو سبعة أمتار وأديا صغيراً ، فى وسطه بركة صغيرة يسبح فيها ثلاث بطات كانت تبدو كما لو كانت لعب أطفال فى دلو كبير ، وتحد البركة من الجانبين الأعشاب والطفيليات .

ووقف لحظة يتأمل البطات ، وإرتفعت أحداها فجأة ، وفردت جناحيها وضربت بها سطح الماء ، ثم طارت وراحت تشق طريقها نحو السماء المفتوحة بدون أية قيود .

وترك ذقنه تتهدل على صدره وهو يتنهد فى هدوء . وعندما رفع عينيه رأى شيئاً يتحرك فى أسفل ، على يساره ، بين الأشجار القريبة من البركة ، فقطب حاجبيه ، وبعد احظة ظهر شاب وفتاة بالأرض المكشوفة ويد كل منهما فى يد الآخر ، وراحا يقتربان من الشاطيء فى طريقهما إليه .

وحسبهما عاشقين ... ولكنه لم يلبث أن أدرك فى إنفعال أن الفتاة كانت تقاوم الشاب وتحاول أن تحرر يدها من قبضته . ولكن الشاب كان يتقدم فى جهد كبير وهو يجرها تقريباً . وفى صمت الغابة سمع العجوز صوت الفتاة الحاد يقول فى فزع شديد :

- دعنى .. أرجوك .. دعنى .لن أقول شيئاً لأى احد رحمة بى .

ولكن الشاب تحول إليها وأمسكها من ذراعها بيده الأخرى وراح يهزها فى عنف وهو يقول :

- أصمتى .. هل تسمعين ؟ .. أصمتى .

راحت تبكى وهى تطوح برأسها ذات اليمين وذات الشمال فيصدر من شعرها تموجات ساخرة :

- إنك تريد أن تقتلنى .. أعرف إنك تريد أن تقتلنى ... ستقتلنى ، بعد أن تفرغ منى .

صفعها فى قوة ، ودوت الصفعة كما لو كانت طلقة مسدس . وقال :

- سوف أقتلك فعلاً إذا لم تصمتى .

وأحس الرجل العجوز بالغضب يسرى فى كيانه ، وهو غضب لم يعرفه منذ وقت طويل . وصعد الدم إلى صدغيه . وأمسكت يده اليسرى بمسند مقعده المتحرك ، وقال : لو أن لى ساقين ... لو أستطيع أن أمشى وأستخدم جسدى .

وأتلع عنقه إلى الأمام وفتح شفتيه وصاح :

- أنت يا من هناك ! .. دع هذه الفتاة .. دعها وشأنها .

حول كل منهما رأسه فجأة ، ورفعا عينيهما إلى أعلا . ورأياه . وصاحت الفتاة دون أن تدرى أنه فى مقعد متحرك ، بينما شد الرجل العجوز جسده فى عربته كما لو كان يحاول التخلص من قيوده ولا يستطيع منها فكاكا : - النجدة !

وكان الشايب يعلوه النمش . وحرر يده اليمنى وضرب الفتاة بقضبته في عنف ، فوقعت كما لو كانت قد تفككت ، وبقيت مكانها لا تتحرك . وتحول الشاب إلى الرجل عندئذ وهو يدس يده في جيب سترته وأخرجها بمسدس صوبه نحو العجوز وهو يجرى نحوه .

ولم يلمس الرجل جهاز مقعده ، وإنما بقى» مكانه لا يتحرك وقد ضم شفتيه فوق أسنانه ، وقست عيناه وأرسلتا بريقاً وحشياً وهو يتابع مجهودات الشاب لكي يصعد المنحدر الصخرى الذى تكسوه الأعشاب . كان في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، طويل القامة ، بارز تقاطيع الوجه ، ذا شعر أشقر مجعد . وفجأة أدرك الرجل العجوز أنه أمام راستى جانيس . وهو مجرم هارب .. قاتل ولص .. وأن رجلين هاربين قاما بمذبحة في المنطقة . وكان الآخر قد وقع في قبضة البوليس منذ يومين . ولكن جانيس إستطاع أن يهرب ، وكان البحث عنه لا يزال جارياً . وكان الرجل العجوز يعرف كل هذا لأن الشيء الوحيد الذى بقى له من ملذات الدنيا ومسرتها هو التليفزيون ، وقد رأى صورة جانيس أكثر من مرة أثناء نشرة الأخبار .

بلغ جانيس أعلا المنحدر ، وتوقف على بعد خمس خطوات من الرجل العجوز وهو يصوب مسدسه إليه . ومسح فمه بكم سترته وقال :

– مشلول .. عجوز مشلول في مقعد متحرك .. إنك لا تفتقر إلى الشجاعة يا جدى العجوز . هل تريد أن تصيبنى بالجنون بصياحك هذا ؟

قال الرجل العجوز في قسوة : – دع الفتاة وشأنها يا جانيس .

- آه . هل تعرف من أنا ؟ ... حسناً يا صديقى . هل تعرف معنى هذا ؟ .. معناه إنه يجب أن أتخلص منك .

عاد الرجل العجوز يقول : - دع الفتاة وخذنى أنا رهينة بدلا عنها . إنك تحتفظ بها لهذا الغرض ، أليس كذلك ؟ ... إقتلنى عندما تغدو حرا وبعيداً عن متناول البوليس .

ضحك جانيس في جنون وقال : - حقاً ... إنك رجل عجيب يا جدى العجوز .. رهينة فى مقعد متحرك ... أتريد منى أن أدفعك بهذا المقعد ... إنك عجيب حقاً .

- إقتلنى إذن ، ودعنا نفرغ من ذلك الآن .

قال جانيس وهو يرفع مسدسه علي الفور : سوف أفعل بكل تأكيد .

ضغط الرجل العجوز بكل قواه على المفتاح الذى يدفع المقعد إلى الأمام فإنطلق المقعد فجأة ... فجأة بحيث وقف جانيس لحظة كالمصعوق لفرط الدهشة وعندما أوشك المقعد أن يرتطم به تقريباً حاول أن يتنحى عنه وهو يضغط علي الزناد فى نفس اللحظة . وإنطلقت الرصاصة محدثة دوياً شديداً فى أذنى الرجل العجوز ومرت بجوار أذنه كالقنبلة وفى نفس الوقت إرتطم السلم المعدنى للمقعد المتحرك بركبة جانيس ، فأفقده توازنه وطوح به إلى الخلف نحو المنحدر .

وأفلتت من شفتيه صحية حادة إنقطعت فجأة عندما أرتطم جسده بالأرض الصلبة ووقع المسدس من يده . وأوقف العجوز المقعد على بعد سنيمترات من الحافة ورأى جانيس يتدحرج وينزلق على الأرض

الصخرية . وتحطمت رأس الشاب فوق حافة صخرة حادة ثم هوى فوق صخرى أخرى ، وإنبعثت من جسده هذه المرة فرقعة مدوية ثم توقف عن الحركة على مقربة من البركة . وسال الدم من رأسه ومن ركن مخه .

وابتعد الرجل العجوز عن حافة المنحدر فى حرص وإرتد إلى الخلف . وبقى رابط الجأش ، وسط الصمت المطبق ، وقد تحولت عيناه نحو الفتاة . كان من المتعذر عليه أن يهبط إليها ولم يكن بإستطاعته أن يفعل شيئاً فيما عدا الإنتظار . وتحركت أخيراً ، وتكومت مكامها وأمسكت ذقنها وقد إرتسمت فى عينيها أمارات الحيرة والذهول .

وأحس الرجل العجوز عندئذ بشيء من الإرتياح وقال :

- يا آنسة .. يا آنسة ..

جلست وأدارت رأسها ، ونظرت إلى الناحية التى أتى منها الصوت ، وعندئذ فقط بدا أنها تذكرت أين هى ، وما حدث لها وتسبب فى فزعها . فوقفت على قدميها وهى ترتعش وتتهيأ للفرار .

وصاح الرجل العجوز : - لا تخشى شيئاً .. إنه لن يستطيع أن يؤذيك الآن لن يستطيع أن يؤذى أى أحد . أنظرى إليه صريعاً هناك .

تأملت الفتاة جانيس ثم حولت عينيها عنه ونظرت إلى الرجل العجوز وقد تبدل فزعها إلى خجل ، ولم تلبث أن بدا عليها الإرتياح الشديد .

قال : إذهبى وإستدعى البوليس أنت بهم هنا سأنتظر أسرعى ..

ترددت كما لو أنها أرادت أن تقول شيئاً ، ولكنها لم تلبث أن تحولت وراحت تجرى مسرعة حول البركة لكى تتغلغل بين الأشجار ،

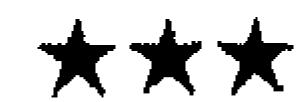
من نفس الطريق الذى أقبلت منه هى وجـانيس . وتابعها الرجل العجوز بعينيه حتى إختفت عن ناظريه ، وتنهد عندئذ تنهيدة عميقة ، وبدا عليه الإرتباك التام .

وفيما هو ينتظر راح يتساءل عما سوف يقول للبوليس عند قدومه ، وهل سيستدلون من أسمه على شىء ؟ ... كلا . طبعاً . فإن ثمانية عشر عاما مدة طويلة . سوف يجد الصحفيون الصلة طبعاً .. بين فريزر ، العجوز المشلول الذى أنقذ بمعجزة فتاة من الموت وقضى على مجرم خطير ... إن هو الأبن فريزر الذى ظل طوال ثلاثة وعشرين عاماً وهو يعمل ضابط بوليس فى العاصمة ، والذى كانوا يلقبونه بصياد الرؤوس ، بسبب إخلاصه لمهنته ورفضه البات التخلى عن أية قضية .

فكر فى سخرية ... التخلى عن أية قضية ... ولكنه تخلى عن كل شىء منذ ثمانية عشر عاما ... إنه قضى طوال هذه المدة وليس فى رأسه غير فكرة واحدة ، وهى أن يجد الوسيلة للإفلات من مراقبة إبنتيه الحريصتين ، لكى يفرغ بعد ذلك مما بقى له من حياة . ولهذا السبب بالذات جاء إلى الغابة اليوم .لقد فكر فى هذا وهو واقف على شفا الجرف ، ينظر إلى البركة وإلى آلبطات الثلاث . ولولا قدوم جانيس والفتاة لضغط على مفتاح مقعده ، ولا ندفع من عل إلى أسفل الوادى ولتمدد هو نفسه فى ذلك المكان بدلاً من جانيس .

وفكر فى الفتاة ، وفى تعبيرات وجهها قبل أن يعدو لاطاعته . ولأول مرة ، منذ موت مارتا ، ومنذ شلله عرف معنى الكرامة والإمتنان وأحس بأنه أفاد الغير .

وإرتسـمت على شفتيـه إبتسـامة صغيرة . لن تكون هناك أفكار إنتحـار ثانية ، ولن يترحم على نفسه ... فى مقدوره الآن أن ينتظر .. فى مقدوره أن ينتظر فى سلام .





ألقى كراندل السؤال الأول فقال : -

- أنت هنا منذ سنة ١٩٤٠ ، أليس كذلك ؟

كانت الآنسة هدسون ذات شعر دب فيه المشيب وابتسامة مكدودة صبورة .. وأجابت :

- نعم ياسيدى .. منذ سنة ١٩٤٠ .

- وقد صدر عليك الحكم بالسجن المؤبد ؟

- نعم ياسيدى .

رحت أقلب صفحات الملف الذى أمامى ثم قلت :

- لقد حكم عليك بالسجن مدى الحياة لأنك قتلت عمتك .. بأن دسست لها السم ، أليس كذلك ؟

- نعم يا سيدى ، لأننى قتلت عمتى .

رفعت رأسى وقلت : - ولماذا قتلتها ؟

بقيت ملامح مس هدسون جامدة وهى تقول :

- لأنها كانت تقتل العصافير الحمراء .. كانت تعرف إننى أحب مشاهدتها من نافذة المطبخ وكانت تطلق عليها النار لهذا السبب .

كنا نعرف جميعاً كل هذه النقاط طبعاً ، ولكن عندما يقف سجين أمام اللجنة التى تنظر فى طلبات إطلاق سراح المتهمين بناً على طلبهم إستنادا إلى حسن سلوكهم فإن تلك اللجنة تحرص على أن يذكر لها السجين كل هذه النقاط ، ونشعر عندئذ أن أقواله قد تساعدنا شيئاً ما فى أتخاذ قرار سواء بإطلاق سراحه أولا ..

وإنحنى آموس ويتمـان ، العضو الثـالث باللجنه إلى الأمام وقال :

- أرى من ملفك إنك كنت حسنة السلوك ولم يصدر منك ما تؤاخذ عليه .

أجابت مس هدسون : - نعم يا سيدى .. لم يصدر منى ما أو خذ عليه طوال الأربعة والعشرين عاما الماضية .

وحولت عينيها إلى النافذة وأردفت : -

- كنت فى الثانية والثلاثين عندما جيىء بى هنا .

أخذ ويتمان يفحص الأوراق التى أمامه ثم قال :

- إنك تقدمت بطلب لأخلاء سبيلك بالضمان الشخصى فى سنة ١٩٥٢ ، وتقدمت بنفس الطلب خمس مرات بعد ذلك ، وقد رفض طلبك فى كل مرة .

نعم ياسيدى طلبت ذلك خمس مرات ورفض طلبى خمس مرات

نظر ويتمان الى وإلى كراندل ، ثم تحول إلى الآنسة هدسون من جديد وقال : - هل تعرفين لماذا ؟

خفضت عينيها وقالت : – كلا يا سيدى .

دونت أمـامى بضع ملاحظات مبهمة ثم سألتها : – هل لك أسرة ؟

هزت رأسها سلبا وقالت : – كلا يا سيدى .

أخذت أكتب ثانية ثم قلت : – هل لك أصدقاء ؟

– كلا يا سيدى .. ليس لى أصدقاء .

نظرت إليهـا وسألتها : – هل كونت لك صداقات هنا فى السجن ؟

خفضت عينيها مرة أخرى وفكرت بضع لحظات ثم قالت :

– هنا ؟ .. نعم يا سيدى .. أن لى بعض الأصدقاء .. والجميع ظرفاء معى .

واستجوبنـاها لمدة عشر دقائق أخرى ثم سمحنا لها بالإنصراف .

كان أموس ويتمان عضوا جديداً فى اللجنة وقد قال :

– إننى لا أفهم شيئاً .. كان يجب إخلاء سبيلها عندما تقدمت بأول طلب فى سنة ١٩٥٢ .. ومع ذلك فقد رفض طلبها خمس مرات .

إبتسم كراندل وقال : – لكننا لا نطلق سراح السجين بطريقة آلية لا لشىء إلا لأن له الحق فى المطالبة بذلك ..

– أعرف هذا .. ولكن لم لا فى هذه الحالة بالذات .. إن حياتها فى السجن لا تشوبها شائبة .. كانت فى الخمسين من عمرها عندما تقدمت بطلبها هذا الأول مرة .. إن بقاءها يعرضها لبعض الخطر .

قلت . – إذا أردت الصراحة فأننا مضطرون إلى أن نأخذ سنها

مأخذ الإعتبار .. إنها فى الثانية والستين من عمرها الآن ، فماذا تفعل لو إننا أخلينا سبيلها ؟ .. هل تجد عملا ؟ .. وأى نوع من العمل .

كان من الواضح أن ويتمان يشعر بالإستياء وقال : – هل تعنى إنك تنوى أبقاءها فى السجن لا لشىء إلا بسبب سنها حقاً ؟

هز كراندال رأسه وقال : – إنهم يتوقعون منا أن نصدر قرارنا فى هذه المسألة يا آموس ، وليست المسألة مسألة سن فحسب فالواقع أن مس هدسون إرتكبت جرائم قتل كثيرة بالسم .

قطب ويتمان حاجبيه وراح يقلب فى الأوراق التى أمامه ثم قال : إنها أدينت لأنها دست السم لعمتها فقط. وهذا كل ما أجده فى ملفها .

أطلعته عندئذ على المعلومات التى نعرفها فقلت : – إن عمها وعمتها وابن عمتها ماتوا جميعاً بالسم فى أقل من شهر .. وقد إستخرج أولوا الشأن الجثث الثلاث وعثروا فى كل منها على كمية قاتلة من الزرنيخ .. وقد رؤى الإكتفاء بمحاكمتها لقتلها عمتها ..

إبتسم ويتمان فى إرتباك وقال :

وما هى الأسباب التي بررت بها إرتكابها للجريمتين الأخريين ؟

– قتلت عمها لأنه كان يضرب جياده ، وكان لا يزال يملك عددا منها فى سنة ١٩٤٩ وتخلصت من إبن عمها لأنه أغرق بعض القطط .

قطب كراندل حاجبيه وقال : – هل تعتقد إننا نستطيع إطلاق سراحها الآن يا آموس ؟ .. إنها جديرة بأن تدس السم لكل من يسىء معاملة حيوان .

أشعلت سيجارة وأخذت منها بضعة أنفاس قبل أن أقول :

- أنها أصبحت يتيمة وهى فى الثامنة عشرة من عمرها وقد كفلها عمها وعمتها ، وكانا يعيشان فى مزرعة نائية .. وقد أسفر التحقيق الذى أجرى بعد ذلك أن العم والعمة إحتفظا بالطفلة الصغيرة سجينة .. أوه ! لا أعنى أنها كانت سجينة تماماً ، ولكنهما لم يسمحا لها أبداً أن تتصادق مع أى أحد أو أن تشترى ثوباً جديداً .. وكان عليها فوق ذلك أن تقوم بأعمال المطبخ وبالجزء الأكبر من أعباء البيت .

إعتدل ويتمان فى جلسته وومضت عيناه وقال : - ولكنها كانت قد بلغت ، الثانية والثلاثين من عمرها على كل حال .. إلا تفهمان ؟ إنها لم تقتل كل هؤلاء الناس بسبب تعذيبهم الجياد أو إغراق القطط أو قتل العصافير ، وإنما قتلتهم بسبب ما فعلوه بها طوال حياتها كلها .

حك كراندال ذقنه وقال : لا أدرى . ما أنا إلا رجل أعمال أحاول التصرف ، بصفتى عضوا فى اللجنة ، كمواطن صالح .. ولست نفسانيا .

وتحول إلى وقال : - ما رأيك يا دكتور ؟

أملاك زوجتى واسعة وجميلة فى مثل هذا الموسم من السنة .. وكنت أنظر إلى زوجتى من نافذة غرفة الطعام ، وكانت تجلس فوق العشب وبجوارها كلبها برنس .

وكانت الآنسة هدسون تعد المائدة .. وخاطبتنى تقول :

– لا أدرى حقاً ماذا كنت أستطيع أن أفعل لكى أعيش يا دكتور لو لم تأخذ بناصرى فى اللجنة .

وفى الخارج نبح الكلب نباحا حاداً فجأة ثم جعل يئن ويتوجع ..

وإقتربت الآنسة هدسون من النافذة .

وهناك أناس يستخدمون الرفق فى تدريب كلابهم ، فى حين يستخدم أناس غيرهم السياط .

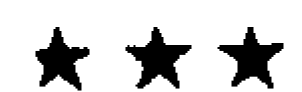
وإتسعت عينا الآنسة هدسون ، وإزدادت إتساعاً ، ولا أظن إنها سمعتنى وأنا أتحدث إليها .

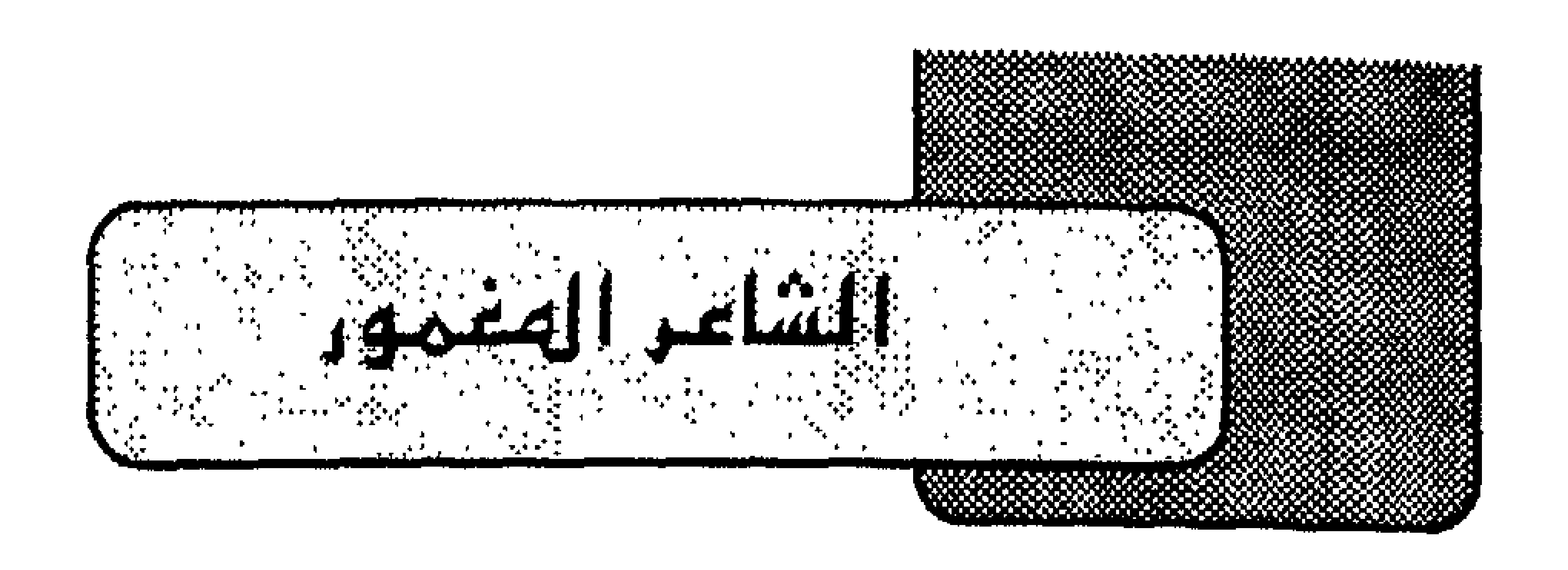
وإرتسمت على شفتى إبتسامة كبيرة وأنا أرى زوجتى ترفع السوط من جديد

كانت الآنسة هدسون تتطلع إلى زوجتى بعينين يتطاير منهما الغضب وهى تراها تنهال بالسوط على الكلب المسكين .

وعندئذ أدركت أننى سأرث ثروة طائلة عما قريب لأن مس هدسون ستقتل زوجتى حتماً .. لأنها أساءت إلى الكلب ..

ومن أجل هذا الأمل إستخدمتها لدى مشرفة على البيت بعد إطلاق سراحها ..





الشاعر المغمور

كنت جالساً على شاهدة القبر وأنا الهث قليلاً عندما وقعت أضواء الكشافات على فجأة ، وسألنى صوت قاسى النبرات :

- ماذا تفعل هنا بحق الشيطان ؟

نهضت واقفاً وإستندت على مجرفتى وأجبت :

- إننى أحفر .

وعاد الصوت يقول فى حدة هذه المرة :

- هل الأرض صلبة ؟

- كلا . إنها مازالت طرية ... إنه قبر جديد .

لم أسمعهم عند قدومهم ، ولكننى الآن ، وعلى ضوء القمر رأيت أشباحهم . كانوا ثلاثة ... إثنان من رجال البوليس وحارس المقبرة من غير شك .

قال الحارس : ما كنت لأكشف أمره لو لم أخرج لكى أبحث عن كلبى ، وعندما رأيت ما يفعل أسرعت بإبلاغ البوليس .

ونظر إلى الحفرة ثم قال : لم يحفر أكثر من ثلاثين سنتيمترات . لا تزال هناك مسافة كبيرة لكى يبلغ التابوت .

وقال أحد الشرطيين وهو يحمل شارة الرقيب : وعن أى شىء تبحث يا سيدى ؟ ... أعن نبات الفطر ؟

أجبت : كلا بالتأكيد أيها الرقيب ، فالفطر لا ينبت فى هذه البقاع ، وإذا كانت هنا ثمة نباتات فلابد أن تكون من نوع اللفت ، كما تعرف .

ونظرت إلى شاهدة القبر وتنهدت ثم قلت : إنما أحفر لكى أسترد قصيدة كنت قد كتبتها ... أعنى « سونيته » .

سادت لحظة صمت ، والظاهر إن الشرطى الثانى أحس بأنه لابد أن يقدم إيضاحاً لأنه قال :

– إن السونيته قصيدة شعرية .

أجاب الرقيب : إننى أعرف .

قلت :

– عندما ماتت مارتا هدنى الحزن ، فكتبت عندئذ قصيدة عبرت فيها عن ألمى ، وهى أحسن قصيدة كتبتها حتى الآن ، وكانت رثاء لها ، ووضعتها فى التابوت قبل أن يغلقوه .

– وجئت الآن تبحث عنها ؟

- نعم ، أيها الرقيب ، وخطر لى فجأة إننى كنت أنانيا جداً لأننى أردت الإحتفـــاظ بفضـــائل مارتا لى وحدى ، إذا كيف يعرف العـــالم طيبتها ونبلها وجمالها ، إذا انا تركت قصيدتى الخالدة تتعفن فى القبر .

ألقى الرقيب نظرة إلى زميله ، ثم عاد إلى وقال : وفيم تتحدث هذه القصيدة ؟ هل تتذكر ماذا كتبت ؟

هززت رأسى وقلت : كلا للأسف ، فإن ذاكرتى ليست قوية ، وخصوصاً فيما يتعلق بما أكتب .

إبتسم كاشفا عن أسنانه البضاء وقال : ولماذا لم تكتب نسخة بالكربون ؟ لو إنك فعلت لوفرت على نفسك كثير من الجهد والمشاكل .

وحول ضوء المصباح الكهربائى إلى شاهدة القبر وقال : هل أنت زوجها ؟

- كلا ، وإنما معجب بعيد .

حك الرقيب رأســه وقال ، إننى رأيت كثيراً من المعتوهين فى حياتى ، ولكنك ضربت الرقم القياسى فى هذا المضمار ، وما أظنك إلا من لصوص المقابر .

وأخذنى من ذراعى وقال : تعالى أذكر قصتك هذه للملازم ويلسون .

وأضطررت أن أنتظر مدة طويلة فى قسم البوليس قبل أن يقتادونى إلى مكتب الملازم ويلسون .

وراح يقلب بعض الأوراق وهو يقول : قد يدخل كل هذا فى إختصاص الطبيب النفسانى ، ولكننى أريد أن أقوم بمحاولة قبل ذلك .

ونظر إلى وقال : هل سمعت عن عشق المرء لجثث الموتى ؟

أجبت : طبعاً . وأنا لست من أنصاره . إن الجسد الميت فى نظرى ما هو إلا جسد ميت ولا أكثر . وأنا لا أهتم إلا بروح مارتا وبذاتها ، وهما فى السماء .

– ولكن قصيدتك موجودة فى التابوت ؟

– نعم . للاسف .

– كم عمرك ؟

– واحد وثلاثون سنة .

– ومارتا كارسون ، تلك التى كنت تحفر قبرها ماتت وهى فى السادسة والأربعين .

– إن السن لا تعنى أى شىء . إن جمالها الداخلى لاسن له ، وهو الذى كان يعجبنى فيها .

قلب أوراقه مرة أخرى وقال : إن زوجها ميكانيكى وهى قد أمضت نحو أسبوعين فى المستشفى قبل أن تموت . كانت مريضة بالكليتين ، وكانت إمرأة عادية .

– فى نظر النـــاس . أما فى نظرى أنا فقد كـانت المرأة الخـــالدة .

– هل كنت صديقاً للعائلة ؟

– لم يكن هناك من يعلم بوجودى غير مارتا .

– هل كانت بينكما علاقة ما ؟

نظرت إليـــه ببرود وقلت : روحانا فقط كـــانتا تتلاقيان وتتلامســـان .

قطب حاجبيه وقال : ماذا تفعل لكى تعيش ؟

– إن لى دخلاً إنتفع منه .

– ولكنك شاعر ؟ ... هل نشرت شيئاً من شعرك ؟

– ليس بعد .. فإن الناشرين مجانين . ولابد لى من أن أنشر أشعارى على حساب الناشرين إذا كنت أريد لها أن ترى النور .

راح يتأملنى ملياً ثم قال : مادام لك دخل ، فلا أهمية للمال بالنسبة لك ؟

– أبداً .

هز الملازم رأسه فى بطء وقال : ولكنك لا تكره الشهرة .

قلت : ولكن من المتعذر أن يحصل شاعر مجهول على الشهرة .

إبتسم : وقليل من الدعاية ستساعدك ، أليس كذلك ؟ .. هل تحب أن يتحدث عنك الناس ؟

أخرجت منديلى من جيبى وجففت جبينى وقلت : إننى لا أفهم ما الذى تقصده .

إختفت إبتسامته وقال : بل أظن ، على العكس ، إنك تفهمنى جيداً . يخامرنى إحساس بأنك كنت تتمنى أن يلقى البوليس القبض عليك ، وقد بقيت أنت بجوار ذلك القبر حتى تم لك ذلك . وأظنك أعددت قصة للصحفيين الذين كنت تتمنى أن تتحدث إليهم ؟

جففت يدى ولم أنطق وقست عيناه وقال : أظن إنه لا داعى لأن اقرأ أشعارك لكى إعرف إنه لا يمكن أن تكون شاعراً .

رفعت رأسى وسألته : حقاً ؟ ولماذا ؟

- لأنك لم تبتكر شيئاً .

وأخذ من مكتبه ورقة وقال : عندما جاءوا إلى بقصتك أثار شيء ما إهتمامى فأخذت دائرة المعارف وبحثت فيها ... هل سبق أن سمعت عن دانتى جابرييل روسيتى ؟

تنحنحت وقلت : هذا جائز .

- كان روسيتى شاعراً ورساماً إنجليزياً من القرن التاسع عشر ، وعندما ماتت زوجته فى سنة ١٨٦٢ دفن بعض قصائده معها ، ولكنه فكر فيما بعد وإسترد القصائد من القبر ، ونشرها تحت عنوان قصائد ج . روسيتى فى سنة ١٨٧٠ .

ونظر إلى مليا ، جامد الأسارير وقال : أهذا ما كنت تتمنى أن تفعل ؟ ... أن تصبح روسيتى آخر ؟

تحاشيت نظرته ، فسدد سبابته إلى وقال : فى مقدورى أن ألقى القبض عليك بتهمة إنتهاك حرمات الموتى ، ولكننى أعتقد أن هذا هو ما تريده أنت بالذات وعلى اللعنة لو تركت دائرتى تساهم فى هذه الدعاية .

قلت ولكننى أعتقد أن أحداً لن يضار إذا أنا أهديت مجموعة قصائدى إلى دائرتك .

أحمر وجهه وسدد أصبعه إلى مرة أخرى وقال : أخرج من هنا . إذا القينا عليك القبض بجوار ذلك القبر مرة أخرى فسوف أرسلك إلى مكان يتعذر عليك الخروج منه طوال عمرك .

عندما رويت قصتى هذه لبيج هيلى راح يضحك وقال : إننى أحب الرجل الذى يعرف كيف يتصرف . وأظن أن الثقافة والقراءة من وقت لآخر لها فائدتها .

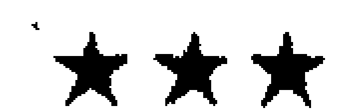
ومضى إلى الخزانة الحديدية ، وأخرج منها عشرة آلاف دولار ، ناولنى أياها وهو يقول : — كان من المحتمل أن يذهبوا بك إلى المستشفى المجاذيب ، وأن تمضى هناك سنتين . ولكن هذا أفضل من الكرسى الكهربائى على كل حال .

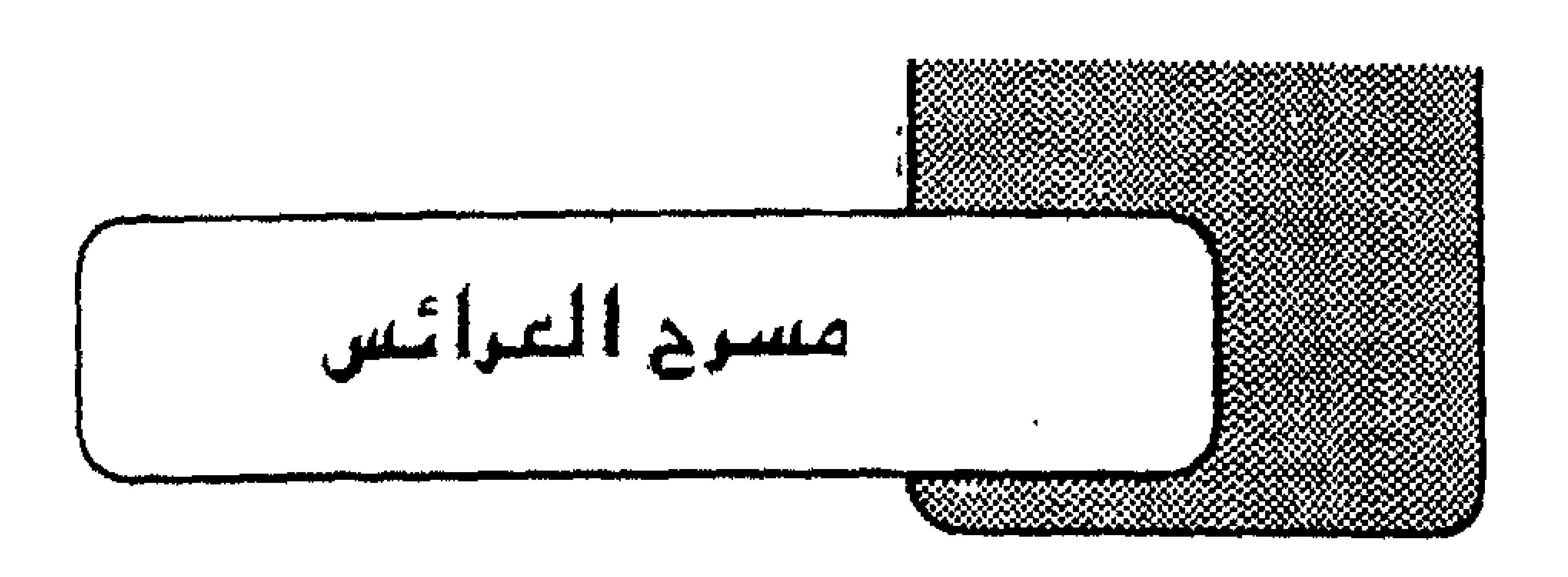
وأشعل سيجاراً ثم قال : هذا حسن جداً . سوف تنال ترقية كما وعدتك . وسأبعث بك إلى الشاطىء الغربى لكى تهتم بمنطقة لوس إنجيلوس ، فقد أحيل لوبيز إلى التقاعد لأنه أصبح يشكو من قلبه .

ونفخ دخان سيجارته ناحيتى وإستطرد : ما عليك إلا أن تعمل مع المنظمة وسوف تصل . دعك من الخيال ولا تحاول أن تعمل لحسابك ، وإلا أرسلت من يعنى بأمرك ، كما عنيت أنت بأمر شارى لارسون .

إبتسمت إبتسـامة عريضة وقلت : ويجد مكـانا مناسبا لإخفاء جثتى .

ذلك إنه فى اللحظة التى فاجأنى فيها البوليس لم أكن أحفر القبر وإنما كنت أحيل التراب على جثة لارى لارسون .





مسرح العرائس

أحببتها عندما رأيتها لأول مرة ، ولكننى رأيت المتاعب فى نفس الوقت ، فبعد أن يقضى المرء سنوات محاولا تجنبها يكتسب حاسة سادسة تجعله يسبينها على الفور ، أعنى المتاعب ، ولعل ذلك لأنها كانت جميلة ، والفتاة الجميلة تثير المتاعب كل تسع مرات من عشر ، أو ربما لأنها كانت لا تنفك تنظر جولها كما لو كانت تبحث عن شيء أو عن شخص .

كان ذلك فى أفنيدا دى سانتوس ، فى أول ليلة من مهرجان النوفيللو ، ولم أفهم أبداً لماذا يدعون هذا المهرجان بإسم مهرجان « الثور الصغير » على الرغم من أننى قضيت فى الجزيرة أربع سنوات . كان إحتفالاً وثنياً بلا شك ، ولا ريب أن له معنى خاصاً لا يفهمه إلا المواطنون .. كل ما عرفته هو أن الجميع كانوا يحتفلون به ، لا سيما الآنسات الجميلات ، ومنظرهن يروق لى كثيراً ..

ورأيتها فجأة وسط كل هذا الحشد من الناس .. كانت ترتدى تاييرا أبيض كان ظاهرا بوضوح بين الثياب الحمراء الصارخة والسوداء والصفراء .. يدفعها الناس بمناكبهم هنا وهناك كزورق صغير تتقاذفه

أمواج العاصفة ، ولكنها لم تكن سينوريتا ، وإنما كانت من إنتاج الولايات المتحدة .. مواطنة أمريكية مثلى ..

وخطر لى أن من المروءة والشهامة أن أخف إلى نجدتها ، فشققت طريقى إليها بشق النفس ، وأصابنى فى سبيل ذلك ما أصابنى .. ولم تكن مسرعه فإستطعت اللحاق بها وصحت وأنا أمسكها من مرفقها :

– هالوا أيتها السيدة الأمريكية !

ولاريب إنها حسبت إننى اسعى وراء حقيبتها ونقودها لأنها تخلصت من قبضتى فى قوة وإستدارت إلى .. ولكن يبدو إن وجهى الأمريكى نم عن أصالتى ، لأنها وقفت تنظر إلى فى صمت .. وخاطبتها قائلاً : يبدو لى إنك بحاجة إلى رفيق فهل أستطيع مرافقتك إلى مكان ما ؟

أجابت : – ولكننى لست ذاهبة إلى مكان ما ..

– دعينى أنقذك من هذا الحشد إذن ..

وبدأ ذلك قد راق لها لأنها تركتنى هذه المرة أمسك ذلك المرفق الجميل الذى إنتزعته منى قبل ذلك بكل عنف ، وتقدمتها وتلقيت ما لقيت من جزاء !

وبعد نضال إستمر نحو عشر دقائق بلغت حيث أريد ، وكان مشرب لاكازا دى بريوزا هادئاً عادة فى مثل هذه الساعة أثناء المهرجان ..

وقلت أسألها : – ما رأيك فى أن نجلس ونتناول مرطباً وشرب لاكازا دى بريوزا صغير لا يتسع أكثر من أربعين من الرواد ، ويضاء

بالشموع ، مشروباته لذيذة وجيدة وجدرانه تعلوها الزخارف والنقوش الجميلة ويشرف على خدمته ثلاثة رجال يتكلمون الإنجليزية ..

وطلبت كأسين من الروم المثلج ، بعد أن حصلت على موافقتها طبعاً ، ثم قدمت لها نفسى قائلاً : – إسمى بيت لا نسنج ..

أجابتنى فى شرود : وأنا اليزا مارتيلون ..

قلت : – هذا إسم غريب .. ومع ذلك فأنت أمريكية ؟ – نعم ..

ولم يبد عليها أنها راغبة فى الحديث .. وكانت لا تفتأ تلقى النظر حولها كما كانت تفعل فى الشارع ، باحثة عن شىء أو عن شخص ..

وكانت فرصة لكى اتفرس فيها عن كثب ، ورأيت عندئذ أنها جميلة حقاً .. كانت شقراء ، ولكن ليس بذلك اللون الأصفر البراق ، وإنما بلون رقيق أسبه بلون العسل .. وكان شعرها قصيراً وعيناها خضراوين ، وأنفها أرستقراطياً ، وشفتاها لاهما بالرقيقتين جداً ولا بالمكتنزين جداً ، وبشرتها جميلة ملوحة ..

وبعد أن جىء لنا بما طلبت لم أستطع إخفاء ، فضولى أكثر من ذلك فسألتها : –

– هل تنتظرين أحداً ؟

– ليس تماماً ..

وكفت عن النظر حولها .. ولكنها لم تولنى أى إهتمام مع ذلك ، وراحت تحملق فى كأسها فقلت : –

- إننى أعرف البلد معرفة لا بأس بها ، وقد أستطيع مساعدتك ..

ولسبب لا أدريه أحدثت كلماتى هذه أثرها السريع ، فسألتنى على الفور . - هل تعرف شيلا رامى ؟

وسرنى إنها تبحث عن امرأة لا عن رجل وقلت : - رامى ؟ ..

يخيل لى إننى أعرف هذا الاسم ، ولكننى لست واثقاً ..

أسرعت تقول : - ولكنك مقيم هنا .. أعنى إنك من سكان الجزيرة ؟

أجبت : - أظن أنه يمكن القول بأننى أقيم هنا فإننى هنا منذ أربع سنوات ..

- كنت هنا إذن فى مثل هذا الوقت من السنة الماضية ؟

- طبعاً ..

- حسناً .. كانت شيلا رامي هنا هى الأخرى منذ سنة بالتمام .. أعرف ذلك لأنها أرسلت إلى بطاقة بريدية حدثتنى فيها عن المهرجان .

وإنتظرت بقية تفسيراتها ولكنها لزمت الصمت وراحت تردد البصر حولها من جديد وكانت نظراتها هذه المرة غريبة حقاً وسألتنى أخيراً تقول : - هل قلت لى إننا فى مشرب « لاكازا دى بريوزا » ؟

- نعم ..

- إننى واثقة إن شيلا حدثتنى عنه ، وهذا يدل

- على إنها جاءت هنا لأنه لا يمكن أن يكون هناك مشرب بهذا الإسم فى كل جزيرة من جزر البحر الكاريبى ..

– كلا .. لا أظن ذلك ..

– لاريب إذن أنها كانت في هذه الجزيرة .. من الجائز إنها غادرتها وذهبت إلى مكان آخر ولكنني واثقة إن هذا آخر مكان كانت فيه ..

– لا أفهم ماذا تعنين ..

تفرست في وجهي لحظة ، وتركتها تفعل وأنا أحاول التظاهر بعدم الاكتراث .. وأخيراً قالت :

– هل أستطيع أن أضع ثقتي فيك ؟

– طبعاً ..

– إنني أعتمد عليك إذن فإنني لا أعرف هنا أحد آخر .. هل تريد أن تسمع مشكلتي ؟

بدأت تذكر قصتها عندئذ ، وفي تجرع شرابها ما بين لحظة وأخرى فقالت : – إنني ولدت في الاوهيو ، ولكنني قضيت السنوات الأخيرة في نيويورك ، حيث كنت أعمل عارضة للأزياء ، وأشتغل بالتلفزيون من وقت لآخر .. فاكسب ما يكاد يكفي لسد رمقي ..

قلت مازحاً – ظننت من ثيابك إنك وارثة

إبتسمت إبتسامة قصيرة وقالت : – إنني إشترى ثيابي بتخفيض كبير ..

– وهل إسمك اليز مارتيلون حقاً ؟ – نعم .. والآن وقد عرفت إنني لست وارثة ، أفلا ترغب في التخلص مني يا مستر لانسنج ؟

– ولماذا أرغب فى ذلك ؟ .. إننى جالس الآن فى مشربى المفضل ، مع أجمل فتاة ، وفيما عدا ذلك فإن إسمى بيت ..

لم ترد المجاملة وإنما سألتنى قائلة : – هل تريد أن أحدثك عن شيلارامى ؟

– بكل سرور .. إن أصدقاءك أصدقائى ..

– كانت شيلا رامى صديقتى ، وإشتركنا فى شقة صغيرة بنيويورك قرابة سنتين .. ثم حصلت شيلا على أجازة وسافرت إلى البحر الكاريبى .. وقد أرادت أن أرافقها ، ولكننى كنت مرتبطه فى ذلك الوقت ببعض العقود ، ولم أستطع التخلص منها فسافرت شيلا وحدها .. وكانت هذه الجزيرة ضمن البلاد التى تنوى زيارتها ، وقد أرسلت إلى منها بطاقة بريدية .. وكانت آخر بطاقة جاءتنى منها ..

وأمسكت ، وحدقت فى كأسها ثانية .. وتلألأ شعرها الذهبى تحت ضوء الشموع ، وسألتها :

– وهل هذا كل شىء ؟

– تقريباً .. لم أسمع عنها نبأ بعد ذلك ..

– هل أبلغت البوليس عن إختفائها ..

– تولت إدارة الشئون الخارجية الأمر ، ولا أدرى ما فعلوا ، ولكنهم لم يعثروا على شيلا ..

– ولهذا السبب أتيت هنا ؟ .. آخر مكان تعرفين أنها بلغته لكى تبحثى عنها ؟

رفعت عينيها إلى وقالت : – أيبدوا هذا غباء منى ؟

– لا أدرى .. هذا رهن بمدى صداقتك لها ..

– كانت صديقة حميمة لى .. بل إنها كانت أكثر من ذلك .. يخيل لى أحياناً أن شيئاً بغيضاً قد حدث لها ، وفى أحيان أخرى يخيل لى أنها إختفت طواعية .. لعلها وجدت هنا شيئاً .. أو التقت بأحد ما ..

قلت : – سحر الجزر ، أليس كذلك ؟

وقدمت إليها سيجارة رفضتها فعدت أقول : – هناك بعض السحر فيما يتعلق بهذه الجزيرة .

– ألهذا السبب تبقى هنا يا مستر لانسنج ؟

بدأ لى الوقت مناسباً لتبادل الأسرار فقلت : إن الحياة هنا أسهل وأقل تأثيراً ، وأنا رجل كسول وعملى ، ولهذا أحببت هذه الجزيرة ..

– لعل شيلا أحست بنفس هذا الإحساس .. قلت : – مع فارق واحد ، وهو أن إدارة الشئون الخارجية تعرف مكانى ، ثم إننى لم إختف أو أختبىء .

مهما يكن من أمر فإنك تعرف مشكلتى الآن يامستر لانسنج ..

– إسمى بيت ..

– هذه هى مشكلتى يا بيت ..

وطلبت كأسين آخرين من الروم المثلج ..

لا تنعش الحياة تماماً أثناء المهرجان إلا بعد الظهر بوقت طويل ، ولهذا السبب كان فندق لاكازا دلمار الذى تقيم فيه اليز ، وحيث تناولنا

الغذاء فى الظهر غير مزدحم إطلاقاً .. لم يكن به أكثر من بضعة أشخاص يغالبون النوم ، ولكن اليزا أرادت أن ترى الجزيرة ، وأسعدنى أنا قضاء فترة بعد الظهر والأمسية معها .

كانت الفتاة تبدو أجمل بكثير فى ضوء النهار .. وكان واضحاً إنها تحب اللون الأبيض ، لأنها كانت ترتدى بلوزة بيظاء وشرتا أبيض .. كانت ذات ساقين جميلتين ملفوفتين سمراوين .

وبدأنا بالتجوال حول الجزيرة ، وكنت قد أستأجرت سيارة إنطلقنا بها إلى الساحل ، وهناك سألتنى اليز :

– ماذا يوجد فى وسط الجزيرة ؟

– النصف عبارة عن غابة كثيفة ، والنصف الآخر أراض زراعية .. والمحصول الرئيسى هو قصب السكر .. وهناك قرى قليلة فى النصف الأخير ..

– والغابة ؟

– عبارة عن أشجار ونبات مفروش وعليق وحشرات وزواحف ..

– أليس بها سكان ؟

– لا أظن أن هناك سكانا يعيشون فى الغاية ، ولكن الناس يختلفون إليها للصيد والقنص ، ثم إن هناك أنصار الفردو ، وهم يذهبون إليها لممارسة طقوسهم ..

وأوقفت السيارة فى جانب من الطريق .. كان الشاطىء على اليمين وكـــان مقفرا تمـامأ ، وينحدر إنحدار خفيفاً نحو خمسين

متراً تقريباً ثم يلتقي بالأمواج .. وعلى اليسار ، على نحو مسافة عشرة أمتار كان هناك جدار أخضر .

وقلت وأنا أسـير نحوه : - لايوجد طريق خلال الغـابة كما ترين . لا أكثر من بضعة دروب تكاد لا ترى . يجب أن يشق المرء طريقه بالمنجل .

ولكن ذهنها كان مشغولا بما ذكرته لها قبل ذلك لأنها قالت . - إننى قرأت الكثير عن الفودو .. هل يمارسونه في كل هذه الجزر ؟

- تقريباً .. ولكن فيم تفكرين ؟

- فى شيلا طبعاً ..

- وهل ترين عارضة أزياء أمريكية تتحول إلى راهبة للفودو ؟

- لا تمزح فى هذا الأمر يا بنت ..

- يؤسفنى إنك أخذت عنى هذا الإنطباع .. ولكن من الجائز أن هذه الغابة لا تروق لى ، ويجوز أيضاً إننى أحاول أن أثبط عزيمتك فى البحث عن شيلا فى الغابة ..

- والفودو ؟

- إن السياح الأمريكيين لا يهتمون بالفودو عادة ، فهو عمل خاص يمارسه الأهالى فيما بينهم .

- وهل تؤمن أنت به ؟

- آوه إننى سمعت قصصاً غريبة تدور حوله ، ولكننى قضيت هنا أربع سنوات ولم يحدث أن إحتككت به أبداً ..

أخلدت إليزا إلى التفكير ثانية ، فى حين انطلقت السيارة بنا من

جديد .. أحسست بأننى أخطأت عندما بدأت بهذه النزهة ، ولكننى كنت أريد أن أريها جمال الساحل ومنظر المحيط ، وكنت أرجو أن أخرجها من كآبتها ، ولم يكن ينبغي أن أحدثها عن الفودو .

وإنطلقنا فى بطء فى طريق الساحل ، وكنا نلتقى من وقت لآخر بإحدى عربات النقل ، ولكن لم نصادف سيارة خاصة واحدة .. وكان النسيم عليلاً ونقياً ، ولكنه كان مثقلاً برائحة الملح .. ورحت أنظر إليها خلسة من لحظة لأخرى .. وكانت الريح تعبث بشعرها بصورة مبهجة ، ولكنها ظلت عابسة الأسارير .. وسألتها :

– هل تعرفين السباحة ؟

– قليلاً ..

– هل سبق لك أن عرضت ثياباً خاصاً بالإستحمام ؟

– أحياناً ..

– أعتقد إنك فاتنة فى ثوب البحر ..

– أظن ذلك ..

– هل تمنحينني الفرصة للتأكد من ذلك ؟

– وهل تظن إننا قد نجد شيلا على الشاطىء ؟

قلت : حسناً .. فهمت .. العمل قبل المتعة .

وعدنا إلى المدينة ورأيتها كل ما يمكن رؤيته ونحن فى العربة .. المبانى الحديثة والنوادى والفنادق والمكاتب الحكومية والأماكن الفخمة التى يقيم فيها الأثرياء ورجال الأعمال الأجانب ، ثم البيوت الحديثة التى أنشئت لإقامة أفضل العمال وأمهرهم ، وأخيراً الأحياء القذرة التى

يقيم فيها الأهالى وقلت : وهكذا ترين أن الجزيرة صغيرة وإنه من غير المعقول أن تختفى فتاة جميله كشيلا دون أن يعرف أحد شيئاً عنها ..

- إذن فأنت تظن أنها ليست هنا ؟

- إننى أشك فى ذلك ..

- وتظن إننى لا يجب أن أقلق ؟

- أوه ، كلا .. أريدك أن تبحثى عنها فإننى لا أريد أن أراك تأخذين أول طائرة وتسافرين بعيداً .. أعنى على الأقل حتى يعرف كل منا الآخر معرفة وثيقة ..

قالت عاتبة : - بيت !

وكانت تلومنى فى كل مرة برقة أكثر من سابقتها وإستطردت : - إنك لا تأخذ مشكلتى مأخذ الجد ..

وكانت الشوارع قد بدأت تزدحم بالوفود الصاخبة . وعرضت عليها أن نذهب لتناول العشاء ، ثم نختلف بعد ذلك إلى علب الليل وسألتها : هل تتمتع شيلا بصوت جميل ؟ .. لعلها تغنى فى أحد الأندية الليلية ..

قلت ذلك مداعباً ، ولكن قولى أثار إهتمام اليز فقالت : - نعم .. إن شيلا لها صوت جميل سواء تكلمت أو غنت .. وكانت تريد أن تحترف التمثيل بكل طريقة ..

قلت : - ان فرص التمثيل هنا قليلة .

وتناولنا العشاء ، وتجولنا فى أنحاء المدينة ، ولكننى رافقتها قبل ذلك إلى الفندق لكى تستبدل ثيابها ، ثم أعدت السيارة ومضيت إلى غرفتى الحقيرة لإستبدال ثيابى أنا الآخر .. وعندما إلتقيت بها فى بهو

الفندق بعد ذلك كانت ترتدى ثوباً شفافاً أبيض ، وكانت فى كل مرة أراها فيها أجدها أجمل من سابقتها .. وفى تلك الليلة بالذات كشفت عن كتفيها ، وكانتا جميلتين سمراوين وسمارهما يتألق ويلمع كالستان .

وتناولنا أسماكاً طازجة إزدردناها على عجل لأن غرفة الطعام كانت مزدحمة وخانقة ، ثم غادرناها مسرعين .. وتشبثت اليز بذراعى فى قوة .. وكان شيئاً جميلاً أن أحس بها .. بجوارى ، ورأيت إننى سأفقدها حقاً فى اليوم الذى تستقل فيه الطائرة .

وتجولنا نحو ساعتين تقريباً .. وإضطررنا أكثر من مرة إلى الإشتراك فى الرقص فى الشارع .. والرقص أثناء المهرجان يتم بطريقة عجيبة فما تشعر وأنت فى طريقك إلا وقد أمسك بعضهم بيدك قسراً وإذا بك تدور مع الراقصين ، سواء شئت أم لم تشأ .. وإنتزعت اليز منى مرة بهذه الطريقة .. إنتزعها منى شاب طويل القامة لم يكن هناك أقل شك فى أنه وسيم تحت قناعه ، وكان لابد لى من خمس دقائق لكى إستردها منه ، وقد إضطررت تقريباً إلى معاركته ..

وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة عندما بلغنا آخر الميدان حيث الناس أقل إزدحاماً ، وحيث تقوم بضع خيام تضم مسارح شعبية بينها سيرك .. وكانت اليز متعبة وقد تجعد ثوبها الأزرق ، وسألتنى قائلة ما هذه الخيمة الكبيرة ؟

هى مسرح للعرائس كما يبدو

- أتظن أننا نستطيع أن ندخل لكى نستريح لحظة ؟ وكانت رغبتها بمثابة أمر ، فقطعت تذكرتين ودخلنا .. وكانت الخيمة كلها عبارة

عن عشرين قدمـاً مربعاً ، خانقة الحر وتعض بالمتفرجين ولكنها كانت على الرغم من ذلك ملجأ أميناً نستطيع أن نستريح فيه ..

وكان أغلب المتفرجين يجلسون على دكك خشبية .. وكانوا جميعاً أشخاصاً مسنين وأطفالا .. وكان إهتمامهم جميعاً منصباً على مايدور على خشبة المسرح ، وكان الصخب شديدا ، بحيث كان يتعذر فهم الحوار ، ولكن كان يبدو أن المتفرجين يستمتعون بكل كلمة منه .

ومهما يكن من أمر فإنني لم أهتم بالحوار أى إهتمام ، خاصة وإنه كان يدور باللغة الأسبانية ، ولم أكن قد المت الماما تاماً بها بعد .. كنت واقفـاً وبجوارى فتاة جميلـة ، ولم أهتم بما تنطق بـه الدمى الخشبيـة ، ولكننى رأيت إن اليز كانت تتابع العرض بإهتمام ...

كان الزحام شديدا بحيث وقفنا ملتصقين ، كل منا بالآخر .. وقد طاب لى أن أقف بجوار اليز لأن شذاها غطى على رائحة الثوم والعرق التى تملأ المكان .. وكان كل منا لا يزال ممسكاً بيد الآخر كما دخلنا ، ويبدو أن اليز نسيت يدها فى يدى ، وقد طاب لى ذلك أنا أيضاً .

وفجأة شددت الضغط على يدى بقوة لم أشعر بها من يد امرأة قبل ذلك ثم سمعتها تهمس قائلة : – بيت .. هذا صوت شيلا ..

ولم أكن سريع الخيال لأننى قلت : – ماذا ؟ .. أين ؟ ..

– إحدى هذه العرائس تتكلم بصوت شيلا ..

– هل أنت واثقة ؟

– ألا تفهم ؟ .. لابد أن شيلا خلف خشبة المسرح .

وكانت هى التى تقدمتنى هذه المرة ، فخرجنـا من الخيمة ودرنا بها

وكان المكان مظلماً فلم نر أحداً .. وعندما أدركت أن اليز تبحث عن فتحة الخيمة كانت قد أهتدت إليها وجرتني خلفها .

وكان المكان الذى تسللنا إليه ضئيل الضوء ، وشعرت فى بادىء الأمر بإحساس غامض .. كان مكانا ضيقاً مستطيلاً يفصله عن باقى الخيمة ستارة أخرى من القماش تؤدى إلى المؤخرة .. أما الممثلون .. أعنى الممثلين الذين يحركون خيوط الدمي ويتكلمون نيابة عنها فقد كانوا يختفون فى الظل ، فوق سقاله من الخشب مرتفعة عنا ، وتقع خلف المسرح بالذات ..

وهمت اليز بصعود السلم المؤدى إلى السقالة ، ولكننى أوقفتها لأننى كنت قد رأيت من أين يصدر النور الضيئل الذى ينير المكان ، وجذبتها على الفور قائلاً : - إنظرى ..

كانت هناك سبع جماجم مصفوفة فوق رف .. سبع جماجم بشرية غرزت فى كل منها شمعة .. سبع شمعات مشتعلات فى سبع جماجم بشرية .. كان هذا هو مصدر النور ..

وليس من السهل إخافتى ، ومع ذلك فإن منظر هذه الجماجم البشرية أثارنى ، وأفزعنى ، وأخجلنى إننى شعرت بقشعريرة تسرى فى بدنى ..

وأدركت إنها تمر بنفس التجربة هى الأخرى ، وأحسست بصدى رعشتها تنتقل من يدها إلى يدى وهمست تقول : - بيت !

ولعلنى أردت أن أظهر أمامها عندئذبمظهر الرجل الشجاع فقد تقدمت خطوتين ولمست إحدى الجماجم .. كانت تبدو صلبة ومتينة ، فقلت :- إنها جماجم حقيقية وليست من الورق الملون .

ولم تشأ أن أفارقها ، فدنت منى وتشبثت بى بيديها وقالت : – وما شأنها يا بيت ؟

– ألحق إننى لا أدرى .. هل كانت صديقتك شيلا من الغجر الذين يحبون الشمعدانات الغريبة ؟

وكانت قد نسيت شيلا لحظة ، ولكنها رفعت رأسها ، وأصغت إلى الأصوات المنبعثة من خلف المسرح ثم قالت :

– إننى سمعت صوتها من جديد .. إننى أعرفه فى أى مكان ... إننى أعرف أنها هناك ... فوق .

ونقلت بصرها إلى الجماجم وشحب لونها . وكان فى مقدورى أن أعرف فيم تفكر .. كانت تقول لنفسها : « إننى عثرت على شيلا ، ولكن فى أية ورطة تراها .

وكنت أحاول التغلب على خوفى شيئاً فشيئاً فأجبت : لاأنصحك على كل حال أن تباغتى شيلا فوق فى الظلام وأن تقطعى العرض. لماذا لا ننتظر هنا حتى ينتهى العرض ، ثم نسأل شيلا عن معنى كل هذا ؟

أومأت اليز برأسها ، وقد سرها أن تجد من تعتمد عليه وكانت يداها تضغط على ذراعى بشدة ، وقالت : أشعر بأننى لست على ما يرام .

فقلت : – يمكننا أن ننتظر فى الخارج ..

– كلا ، سوف يزول ما بى بعد قليل .. لا أريد أن أجازف بفقد شيلا

وحدقت فى وجهى أخيراً قائلة : – بيت ... هذه الجماجم .. إنها ليست فودو ، أليس كذلك ؟

– إننى لست خبيراً فى هذا الموضوع أيتها الحبيبة ، ولكن كل الذى أعرفه هو الدمى المرشوقة بالدبابيس .

ولا أدرى كم من الـوقت لبثنا فى ذلك الضـوء الضئيل المنبعث من الجماجم . ووقفت اليز بجوارى ، ولكننـا لم ننطق بكلمة أخرى .. إحتفظ كل منا بأفكـاره لنفسه . وكانت أفكارى أنا بالذات مشـوشة .

وفى أثناء ذلك ، وإستناداً إلى الجلبة ، وكان المهرجان . على أشده فى الميدان .. وفى الجزء الرئيسى من الخيمة كان عرض العرائس مستمرا ، وكانت تصدر من خشبة المسرح نحو ستة أو سبعة أصوات ، ولكن لم أكن أدرى أيها هو صوت شيلا رامى ..

وأخيراً ، وبعد ما خلناه دهرا ونحن في ذلك المكان الضيق الفاسد الهواء مع الجماجم السبع إنتهى العرض وسمعنا التصفيق الشديد ، يعقبه صوت المشاهدين الذين راحوا يغادورن الصالة .. ولم نلبث أن سمعنا صوتاً صادراً من فوق السقالة ، وبدأ السلم يهتز تحت ثقل شخص يهبط فوقه ..

وإنتظرنا متوترين ، وشددت اليز الضغط على ذراعى الأيسر ، حتى كادت تحطم عظامى ، ورأينا ساقين لرجل غير جميلتين فى بنطلون كاكى باهت اللون ..

وكان يولينا ظهره أثناء هبوطه ، ولهذا لم يرنا .. وكان رجلاً قصيراً لا يزيد طوله عن خمسة أقدام ونصف .. وكان يرتدى قميصاً أزرق باهتاً قذراً وكانت رأسه كبيرة بالنسبة لجسمه ، وبدت غير متناسقة تحت شعر كثيف غزير مجعد يخوطه المشيب هنا وهناك ..

وكان واضحاً أنه لا يعلم بوجودنا ، لأن الدهشة الحقيقية إرتسمت على وجهه عندما بلغ أسفل السلم وإستدار الينا .. ولم تلبث دهشته أن تحولت إلى إحساس آخر .. ظل من الشك أو الخوف .. ولكن هذا الظل لم يلبث أن إختفى هو الآخر ، وإبتسم وإنحنى أمامنا ..

وعلى الرغم من إبتسامته لم أحب وجهه ، فقد كان مستديرا ، وكانت وجنتاه منتفختين وحمراوين كما لو كان قد صبغهما بالأحمر ، وشفتاه مكتنزتين تبدوان كما لو كانتا مختصبتين بأحمر أشد إحمرارا من أحمر وجنتيه ، وعيناه واسعتين براقتين سوداوين تحت حاجبين كثيفين لعلهما هما اللذان جعلاه يبدو مشدوها ، وكان شعرهما مستقيماً ومشدوداً .. كل هذه الألوان الصارخة جعلته يبدو كوجه دمية .. دمية بعيدة عن الجمال ، بدت أقرب إلى العفريت أو القزم الصغير .. وكان وجهه يتلألأ تحت ضوء الشموع ..

قال في صوت به رنة من التكلف : – مساء الخير . وكان يتكلم كما لو كان يتلو أحد أدوار عرائسة ، مع فارق واحد هو إنه كان يتكلم اللغة الإنجليزية ..

ولابد أن اليز كانت أشد هدوءا مما تبدو ، ولابد أنها لمست حذر الرجل كما لمسته أنا ، لأنها لم تندفع وتوجه إليه السؤال الذى كنت أخشاه وهو « أين شيلا رامى ؟ » .

وكان سؤالها على العكس يقظاً حذرا لأنها قالت : – أين باقى الممثلين ؟

نظر الرجل اليها فى إستغراب وفى غير إدراك ، فإستطردت تقول فى نفس الحرص : – إننا رأينا العرض وسمعنا الأصوات المختلفة ، وتساءلنا كم من الأشخاص يقومون بعرض مثل هذا .. أعنى شد الخيوط والنطق بكل هذه الأصوات المختلفة ؟

وأظن أن الحيلة جازت على الرجل ، لأنه لمس الأطراء فى السؤال فإنحنى مرة أخرى ، أكثر من المرة السابقة وإزدادت إبتسامته وقال فى زهو : – أنا الممثلين ..

وكنت أرقب اليز فرأيتها تتردد .. وعرفت إنها تسأل نفسها هل

أخطأت في معرفة ذلك الصوت .. ولكنها لم تصب بأى ذعر ، وكان سؤالها التالى أكثر حذراً من سابقه فقد قالت : هل تعنى أنك أنت الذى تتكلم بكل هذه الأصوات المختلفة ؟ ... ولكن بعضها أصوات نساء ..

هز الرجل كتفيه وقال وهو لا يزال بادى الرضا : - أنا كل هذه الأصوات .. أنا الممثل الوحيد ..

إزداد إرتباك اليز فأسرعت أقول محاولا تغطيتها : - عظيم .. إنك تقدم عرضاً رائعا .

أجاب الرجل هذه المرة وهو ينحنى حتى كاد أن يلمس الأرض : - أشكرك .

ولبثنا دقيقة لا ينطق أحدنا بشىء .. وبدأ أن الرجل ينتظر أن نحييه وننصرف .. ولكن اليز لم تكن متأهبة للرحيل ، فقد راحت تحدق فيه ، ولعلها كانت تتأهب لإلقاء سؤال غير حكيم .

ولعل السؤال الذى ألقيته أنا لم يكن حكيماً هو الآخر ، لأننى قلت :

- وما فائدة هذه الجماجم ؟

ولكنه أسرع يرد دون أن تبدو عليه أية دهشة : - إنها جماجم حقيقية .

قلت : - نعم .. أعرف ذلك .. ولكن ماذا تفعل بها ؟

إزداد إحمرار وجهه .. بدأ كإحدى عرائسه بوجهها الصارخ فى الإحمرار وفى تعبيراتها الصناعية .. وقال :

- ألن تضحك منى ؟ - كلا بالطبع .

- حسناً .. أنا رجل أؤمن بالخرافات وأعتقد أن الجمجمة تجلب الحظ ، ولهذا جمعت هذه الجماجم من كل بقاع الأرض .. وجدت بعضها وإشتريت البعض الآخر .. وقد جلبت لى الحظ ..

سألته : - من كل بقاع الأرض ؟

أجاب فى فخر : - نعم .. إننى عرضت عرائس فى كل البلاد وإسمى ترينكولو ..

ونطق بالأسم فى زهو كما لو كان إسماً مشهوراً .. وذكرت له إسمى وقدمت له اليز فقال : - عظيم .. أنتما الإثنان أمريكيان إذن ؟ هو ذلك.
- إننى أحب الأمريكان كثيراً ..

وإستطرد يقول وهو ينحنى : - أرجو أن تلتمسا لى العذر لحظة ..

وكان له ما يريد ، ورأيناه عندئذ يقوم بشىء غريب ، فقد مضى إلى الجماجم وأطفأ الشموع واحدة أثر الأخرى ، وكان يضع يده فوق الفجوتين فيحرم نار الشمعة من الأوكسجين .. وكان يقوم بعمله هذا فى شىء من الخشوع والإحترام ، كما لو كان كاهناً أمام المذبح .. وإزدادت ظلمة الغرفة شيئاً فشيئاً ، ولم تلبث أن أصبحت فى ظلام تام بعد أن إنطفأت آخر شمعة .

وكنت أنا وإليز لا نزال نتماسك بالأيدى .. وقد ضغطت على يدى عندئذ كما لو كانت تدعونى إلى نجدتها .. وخشيت أن تصرخ ، أو إن تندفع نحو الباب أو أن تفعل أى شىء آخر ، ولكن بعد لحظة وجيزة حك صديقنا عودا من ، الثقاب وأشعل مصباحاً غازياً ، لم يرسل كثيراً من الضوء ، ولكن يجب أن أعترف بأن ضوءه كان مريحاً ..

وقلت : - أظن أن من الأوفق أن ننصرف ..

ولكن اليز بعد أن كادت تموت من الخوف أكثر من مرة فى هذه الغرفة كان لا يزال لديها بعض الجرأة لأنها قالت :

- مستر ترينكولو .. هل نستطيع أن نرى خشبة المسرح وعرائسك قبل أن ننصرف .. إن عرائسك قد خلبت لبى لفرط حيويتها ..

ولعل الرجل القصير أراد أن يتباهى ، أو لعله تصور أن هذه هى الطريقة الوحيدة لكى يتخلص منا .. مهما يكن فقد تقدم إلى الستار ورفعه ، وأشار لنا أن نصعد إلى خشبة المسرح ..

كان إرتفاعها نحو متر ، ولم تكن هناك أية درجات . وعاونت أليز على الصعود ثم صعدت بدورى .. وتبعنا ضيفنا بوثبة واحدة رشيقة ..

ووجدنا أنفسنا فوق منصة الإستماع ، وكان بها ضوء أكثر ورأينا العرائس أمامنا ، وكانت مصفوفة كما لو كانت لكى تلقى بالتحية الأخيرة .. وكانت كل منها أكبر مما كنت أتوقع ، نحو ستين سنتيمترا تقريباً .. وكانت مصنوعة بطريقة فنية بارعة ، وجوهها مطلية بألوان زاهية طبعاً ولكنها كانت تبدو كما لو كانت حية ..

وكان ترينكولو يشرح شيئاً ما ولكننى لم أكن أصغى إليه ، فقد ذهلت لهذه المصادفة .. كانت هناك سبع عرائس .. وسبع جماجم .. وأشرت إلى ترينكولو بذلك ولكنه لم يزدعن أن إبتسم وقال :

– قلت لك إننى أؤمن بالخرافات يا مستر لا نسنج ، وإننى أتفائل بالرقم ٧ ..

ولم تكن إليز بمصغية إلينا ، فقد كانت جاثية أمام إحدى العرائس .. فتاة لها شعر أسود وعينان زرقاوان .. وكان يبدو على وجه إليز تعبير غريب ..

وقدم لنا ترينكولو أيضاحاً عن طريقة إستخدامه للخيوط التى تحرك العرائس ، وحاولت أن أبدى إهتماماً ما حتى لا يلحظ ما أعترى اليز .. وعند أول فرصة شكرته وأنا أقول أن الوقت قد حان حقاً للإنصراف ..

ولم تعترض إليز هذه المرة .. وبعد دقيقة واحدة ألفينا نفسينا فى الميدان ، وكان لا يزال مزدحماً بالناس .. ومرة أخرى تقدمتها فى الطريق وأنا أشق الحشود وإبتعدنا عن المسرح بضع خطوات .. وعندئذ توقفت فجأة ورفعت عينيها إلى وقالت : بيت يجب أن أقول لك شيئاً .

– ماذا يا حبيبتى ؟

– تلك العروس تشبه شيلا كل الشبه ..

وفى أثناء الإفطار ، فى صباح اليوم التالى كانت تبدو مختلفة .. كانت ملامحها متعبة وزائغة العينين كما لو كانت لم تنعم بالنوم جيداً .

ولكن كان يبدو أنها قد صممت على شىء على الرغم مما تشعر به من خوف ..

وعرضت على صورة دقيقة بالألوان لفتاة فى مقتبل العمر ، عارية الكتفين ذات شعر أسود وعينين زرقاوين وهى تقول : - ها هى شيلا .. ألا تشبه تلك الدمية .. - إننى لم أنظر إلى الدمية عن كثب يا حبيبتى .. ثم أن الصورة الفوتوغرافية غير أمينة فى أكثر الحالات ، ويكفينى أن أصدقك ولكن ، ماذا نفعل الآن ؟

قضينا النهار نتجادل فى هذا السؤال ، فتجولنا فى الشوارع فى الصباح ثم إستلقينا على الشاطىء طوال بعد الظهر ..

كانت جميلة جداً فى المايوه الأبيض ، وكان من قطعة واحدة كما توقعت .. وكان يلتف بقامتها ويشدها دون أن يبرز مفاتنها أكثر من اللازم .. وكان من المفروض أن أركز تفكيرى حول الفتاة المختفية أكثر من أن أركزه حول الفتاة التى معى قلباً وقالباً ..

ولكننى لم أفلح كثيراً مع شيلا كما لم أفلح مع إليز كانت النتيجة الوحيدة التى وصلنا إليها أنه ليست هناك أية جدوى من إبلاغ البوليس لا لشىء إلا لأن هناك دمية تشبه شيلا وتتكلم بصوتها فى نفس الوقت فاننا لا نستطيع أن نثبت أن هناك أية رابطة بين ذلك وبين إختفائها ، وأكدت لليزا أن رجال البوليس سيسخرون منا إذا نحن روينا لهم هذا الهذر ..

كان الشىء الوحيد الذى نستيطع أن نفعله هو أن نهتم بترينكولو بطريقة مباشرة وغير مباشرة كذلك .. لم نكن نستيطع أن نتهمه بأى شىء لأننا لم نكن نملك أى دليل ، ثم إننا لم نكن نعرف بماذا نتهمه ..

كانت أول مشاكلنا هى إكتشاف الحقيقة .. وأكفهر وجه اليز وراحت تقول : – هذه جزيرة فودو ..

– إننى أعيش هنا منذ أربعة سنوات يا حبيبتى ولم أسمع أبداً أحدا يقول عن هذه الجزيرة إنها جزيرة فودو ..

– ولكنك إعترفت بأنك لست خبيراً فى هذه الناحية .

– حسنا .. حسنا ..

– إذا جمعنا هاتين الحقيقتين معاً وهما أن هذه الجزيرة هى آخر مكان جائتنى منها أنباء من شيلا وأن الدمية تشبهها كل الشبه وتتحدث بصوتها فإنها لتكون مصادفة غريبة ..

– ولكن من المحتمل أن خيالك يشتط قليلاً أيتها الحبيبة ، فإنك لا تفكرين إلا فى شيلا وخيالك يدور حول صوت ووجه دمية تشبه شيلا ..

– بيت ، وإذا لم تصدقنى فلا حاجة بنا إلى أن نتكلم فى هذا الموضوع ..

– سأتكلم فى هذا الموضوع طالما شئت أنت يا حبيبى وسأذهب معك إلى كل مكان وأفعل كل ما تريدين ..

كان هذا إرتباطا منى ولكننى كنت أعنيه حقاً فقد وقعت فى هواها ..

وعدنا إلى مسرح العرائس فى هذه الليلة كذلك وقمنا بنفس ما قمنا به بالأمس ، فقد شهدنا العرض فترة من الوقت ، وكانت اليز تركز كل إهتمامها على الدمية السوداء ذات العينين الزرقاوين ، وهمست لى تقول أنها متأكدة تماما أن الدمية تشبه شيلا كل الشبه وإنها فوق ذلك تتكلم بصوت شيلا نفسها ..

وعندما بدأ لنا أن العرض يوشك على الإنتهاء أسرعنا إلى الغرفة

الخلفية للخيمة ودخلناها من جديد . وكان كل شيء كالأمس تماما بما في ذلك الجماجم والشموع المضاءة ..

ولم نكن قد أعددنا أية خطة ولا أى عذر نلتمسه لهذه الزيارة الثانية . وكان لابد أن نتصرف طبقاً للظروف . ووقفنا لحظات ونحن نكتفى بالنظر فيما حولنا .

وأخيراً خطر شيء أقدمت عليه دون إستشارة اليز ، ولم يكن بمقدورى أن أعرف أين ستؤدى بى هذه الخطوة . ولكن كان العمل أفضل من الكلام . وإستقر عزمى فجأة ومضيت إلى حيث الجماجم ونفخت فى إحدى الشموع وأطفأتها .

وجاءت النتيجة سريعة ومفاجئة . صحيح إن الحوار الأسبانى بأصواته المختلفة الصادرة من بينى شفتى ترينكولو الواقف فوق السقالة لم ينقطع لحظة واحدة ولكن حدث شيء غريب فلم يكن من الميسور لى مقابلة الحديث بسبب اللغة ولكن كان واضحاً أن أحد الأصوات تغير بشكل محسوس ، فقد تلعثم ترينكولو وارتج عليه القول وتنحنح دون أن يستطيع النطق بالصوت الأصلى . ولا أدرى ماذا فعل لإصلاح الأمر ولكن مما لاشك فيه أنه قام ببعض التغيرات فى الحوار وجعل عرائسه تتشقلب بصورة إرتجالية .

ولم يلبث أن إنتهى العرض ودوى التصفيق العادى ثم هبط ترينكولو من سقالته بأسرع من الأمس . هبط مسرعاً على خلاف ما فعل بالأمس وأظن أنه نظر إلى الجماجم قبل أن ينظر إلينا ، ورأى الشمعة المطفأة عندئذ فأطلق سبة بلغة لم تكن بالأسبانية ولا بالإنجليزية .

وكنت قد أعدلت أيضاحا مقبولا فأسرعت أقول : - أرجو أن تلتمس لى العذر لحماقتى يا مستر ترينكولو ، فإننا عندما دخلنا منذ لحظة هبت نسمة من الهواء أطفأت هذه الشمعة .

وتحولت عيناه الينا عندئذ . كان جامد الأسارير ولم أستطيع أن أعرف إذا كان قد رضى بتعليلى أم لا . ومع ذلك فقد إسترد رقته على الفور ، وفى هذه المرة بدأ بإشعال المصباح الغازى ثم أطفأ الشمعات الباقية بعد ذلك ثم إستدار الينا وقال :

– إنكما عدتما سريعاً أيها الصديقان الظريفان .

– ذلك إن مسرحك أحسن مسارح المدينة كلها يا مستر ترينكولو .

– أشكرك .. إننى قدمت عروضى أمام ملوك ولكننى إغتبط جدا عندما أسمع أن بعض الأمريكان يهتمون بأعمالى ، فهم اناس عمليون جدا ومن الصعب إرضاؤهم .. هلا بقيتما معى لحظة ريثما نتناول فنجانان من الشاى ؟

وأنا لا أحب الشاى بصفة خاصة ولكننى رأيت أن أقبل لكى نتمكن من البقاء معه فترة من الوقت ..

وذهب أولا فجاء من مكان مظلم ببعض المقاعد التى تطوى وجلسنا ثم أشعل موقداً غازياً وضع الماء فوقه لكى يغلى ..

وفى أثناء ذلك راح يحدثنا عن رحلاته .. وكان حديثه ممتعاً ، ومع ذلك فإنه لم يفسر لنا لماذا تشوش العرض لمجرد أن شمعة إنطفأت .. ولم أشر أنا إلى ذلك ..

وعندما أصبح الماء فى درجة الغليان القى فيه قليلاً من الشاى وتركه حتى ينقع تماماً ثم صبه فى ثلاثة فناجين ، وجاء بعد ذلك بزجاجة صغيرة رفع سدادتها وأمالها فوق الفناجين قائلاً :

– إننى « أحببت الروم فى هذه الجزيرة .. هل لكما فى قليل منه .

ولم يكن هناك أى سبب لكى أرفض .. ولم تنطق اليز بأية بكلمة فقلت له أن يفعل ..

وكان الشراب لذيذا خاصة وأن الروم مع الشاى خلق جوا من المودة والألفة .. وقال بعد لحظة : – هل أستطيع ألقى سؤالا جريئاً جداً ؟

– وما هو ؟

– أنه يتعلق بالسنيوريتا .. أردت أن أقول لك إنها جميلة جداً .

– هذا صحيح ..

برقت عيناه اللتان تشبهان عينى الدمية ، وكان قد تغلب على اضطرابه بسبب الشمة وقال :

– آه .. أستطيع أن أقول إنك تحبها كثيراً ..

– هل تقرأ الأفكار يا مستر ترينكولو ؟

– إننى لست أعمى ..

– لم أحدثها فى ذلك ولهذا فأنت أول من يعرف إننى أحبها ..

– والسنيـوريتا هـى التى تهتم بعرائسى ، وقد جئت أنت برفقتها ؟

ساكون صريحاً معك إننى مهتم باليز أكثر من إهتمامى بعرائسك .

تحول إلى اليز بعينين متسعين بريئتين كل البراءة وقال : –

– لا يبقى أمامنا الآن إلا شىء واحد وهو لماذا تهتم السينوريتا بعرائس كل هذا الإهتمام ؟

لم أنطق بشىء تاركا لإليز مهمة الرد .. كان فى مقدورها أن تتهرب ، فقد كانت من الذكاء بما يكفى لكى تفكر فى أى شىء ، ولكننى أظن إنها لم تشأ التهرب أكثر من ذلك فإن خيالها بنى الكثير من الإحتمالات البغيضة ، وهى الآن تريد بعض الحقائق ..

وإستقر رأيها فجأة وقالت : – مستر ترينكولو إننى أهتم بعرائسك لأن أحداها تشبه صديقة لى إسمها شيلا رامى وتتحدث بصوتها ..

لم تختلج لترينكولو عضلة واحدة وقال بكل هدوء : – هذه مصادفة عجيبة يامس مارتيلون ..

قالت اليز : – بل إنها مصادفة مدهشة .

قال ترينكولو مؤمنا : – نعم .. مدهشة جداً .. هناك ملياران من الناس فى بقاع العالم ، ودونا عن الجميع صنعت دمية تشبه صديقتك وأعطيتها صوتها .

واستطردت اليز تقول : – بل أنها أكثر من مدهشه لأن صديقتى زارت هذه الجزيرة منذ سنة بالتدقيق وأثناء المهرجان ..

وبدت متمالكـة لنفسها ، رابطة الجأش منطقيـة وقد تبخر خوفها .. وكان ترينكولو رجلا ذكياً .. كان فى مقدوره أن ينكر إنكارا تاما ولكن لا ريب أنه كان يعرف أن فى مقدورى أنا أن أكذبة إذا هو أقدم على ذلك فقد كنت موجودا فى السنة الماضية ولهذا قال فى رفق ..

– إننى كنت هنا فى العام الماضى وإننى لا تسأل :

وبدأ كأنه يفكر ورفع عينبه إلى السقف وضم شفتية وإنتظرنا ..

وقال أخيراً : – إننى أتساءل هل يمكن أن أكون رأيتها وسمعت صوتها ، فإننى أكشف لكما الآن عن سر من أسرار مهنتى وهو أننى أصوغ عرائسى لأشخاص على قيد الحياة .. إننى أبحث عادة عن وجه غير عادى وصوت مثير كوجهك وصوتك . يا مس مارتيلون ، فأنت جميلة جداً ولك صوت رخيم واننى لأحب أن أصوغ ذات يوم دمية لها وجهك وصوتك ..

قالت إليز فى حدة : – دع الحديث عنى يا مستر ترينكولو .. متى صنعت هذه الدمية التى تشبه شيلا ؟ .

كان فى الإمكان أن يقع فى الفخ عندئذ ولكنه لم يفعل وقال – ولكن عن أية دمية تتحدثين يا مس مارتيلون ؟

– تلك التى لها شعر أسود وعينان زرقاوان ..

- آه .. إننى أدعوها ستيفانا وأحبها كثيراً ..
- ومتى صنعتها ؟
- منذ وقت قريب .. منذ ستة شهور أو أكثر قليلاً ..
- إنك صنعتها نقلا عن شيلا رامى إذن ؟
- هذا جائز .. لن أدعى العكس .. ولكن يجب أن تقولى هذا لصديقتك فقد يهمها أن ترى دميتي ..

كانت هذه أبرع لمساته ، فقد أنكر بذلك إشتراكه فى إختفاء شيلا دون أن نتهمه بشىء أصلا . ورأيت إليز تتردد وترتبك هل تتهمه أم لا ؟ أو هل تتظاهر بالبرود وتستمر فى إستجوابها عما وقع لشيلا ، أم تهاجمه بكل شجاعة وتحاول أن تضيق عليه الخناق .. كان إختيارا عسيرا .. وتركتها تواجهه على أن إساندها إذا ماهاجمته .. ولكنها قالت فى رقة : - لا أستطيع لسوء الحظ أن أقول لشيلا أن تأتى لكى ترى عرائسك فإننى لم أرها منذ سنة .. والواقع أن آخر ما أتانى منها كانت بطاقة بريدية أرسلتها إلى من هذه الجزيرة ..

ظل ترينكولو محتفظاً بمظهره البرىء ، ولكننى رأيت من نظرتة أنه متوتر الأعصاب ولكن لعل ذلك كان أمراً طبيعيا وقال :

- أنت لا تهتمين إذن بإحدى عرائسى وإنما بما وقع لصديقتك ، وهذا هو سبب وجودك فى مسرحى .. أجابت اليز : - هو ذلك ..

ألقى إليها نظرة سريعة ثم إنتقلت عيناه إلى .. عيناه الواسعتان البريئتان ، وكنت قد كونت عنه رأيا نهائياً ولكننى لم أدر ماذا أفعل ..

وقال : بقدر ما أستطيع أن أتذكر لم أر صديقتك أبداً فى حياتى .

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بكثير عندما تركت اليز فى بهو فندق الكازا دلمار متمنياً لها ليلة طيبة .. كانت تبدو مضطريبة ومتعبة ، ولكنها كانت مع ذلك فى صحة جيدة ..

ولهذا ما كان أشد دهشتى عندما ذهبت صباح اليوم التالى لإستقاء أنبائها فقيل لى أنها نقلت إلى المستشفى .. ولم أنتظر لكى أسأل عن التفاصيل ..

كانت مستشفى سانتو كريستوفرو مبنى حديثاً يقع على أجمل ساحل من سواحل الجزيرة ، ولم أكن أعرف عنها شيأ كثيراً فيما عدا إنها تضم نخبة ممتازة من الأطباء الأمريكيين وأن جماعة من الراهبات تشرف عليه ..

وإستقبلتنى إحدى الراهبات ، وكانت هادئة وقورة فى ثوبها الأبيض وقالت لى إننى لا أستطيع أن أرى اليزا لأننى لست من أقاربها ولكنها سمحت لى أخيراً أن أرى طبيباً عندما قلت أنه ربما يكون لدى معلومات عن سبب المرض الذى أصيبت به .

وكان الطبيب حديث التخرج وقال لى أن اليز تشكو من حمى شديدة على أن الأمر ليس خطيراً وأنهم لم يشخصوا مرضها بعد ، ولكن لا ريب أنه نوع من الحمى المحلية وإنهم لا يحاولون علاجها فى هذه الحالة وإنما يكتفون بمكافحة المرض والعناية بالمريض ، وان من الأفضل أن لا أراها فى الوقت الحالى .

وحدثته عن الشاى الممزوج بالروم فبدأ عليه الإهتمام فى بادىء الأمر ولكن عندما قلت له إننى شربت منه أنا الآخر دون أن ينالنى أى ضرر زال إهتمامه . ولم أر ماذا أستطيع أن أفعل فتركت رقم تليفونى وقلت إنى سأعود فيما بعد وإننى سأرى اليز شاء أو لم يشأ .. وقابل الطبيب قولى هذا بإبتسامة متسامحة .

ومهما يكن من أمر فقد كان لدى ما افعله فى مكان آخر .. كان لابد لى أن أرى صاحب مسرح العرائس .

وبدت خيمة ترينكولو غريبة المظهر وفى غير موضعها المناسب فى ضوء النهار ، فقد كانت منفرة ، وخشيت جداً أن يكون ترينكولو قد غادرها ولكننى لم أقدر الرجل حق قدره لأنه كان راقدا فى هدوء فى ركن من الغرفة الخلفية ..

صحت به أوقظه فى غير رفق فجلس وراح يدعك عينيه ثم حدق فى متسائلاً دون أى عداء ظاهر وقال :

– صباح الخير يا مستر لانسنج وكان صوته غلظا .. كان نائماً حقاً ما لم يكن ممثلاً قديرا وصحت به :

– لا خير هناك ..

– ولماذا ؟ – ماذا فعلت باليز ؟

طرفت عيناه وقال : – شيلا رامى أولا ثم اليز مارتيلون الآن .. إننى لم أفعل بها شيئاً .. فتش عنها بنفسك ..

– لم أقل أنها هنا ، فإننى أعلم أين هى . . إنها فى المستشفى ..

بدا عليه الحزن وقال : – يؤسفنى أن أسمع هذا .

– كفى تظاهراً .. نهض فى بطء وبلغت رأسه مستوى كتفى تقريباً .. ومضى إلى منضدة فوقها أبريق ماء وطست ورش وجهه بالماء ، ثم جففه بمنشفة قذرة وتنازل أخيراً فرد على قائلا :

– بماذا تتهمنى هذه المرة يا مستر لا نسنج ؟

– بأنك أرسلت اليزا إلى المستشفى ..

– وكيف هذا ؟

– كيف ؟ .. لا أدرى .. أما بهذا الشاى الممزوج بالروم وأما بسحر القيته عليها ..

إبتسم . ولا أظن أنه أدرك إلى حد كان يتعرض لوقوع صريعاً تحت لكماتى .. ولم أتمالك نفسى إلا خشيت أن يضر ذلك باليز ..

- أما عن الشاى فقد شربنا منه أنا وأنت يا مستر لانسنج ولم يصبنا شيء ..

وجلس فوق أحد المقاعد فى حين سألته : - وعن السحر ؟

- لولا أن السينوريتا الجميلة فى المستشفى لأضحكتنى فكرتك هذه يا مستر لانسنج ..

كلا .. إنه لن يستطيع أن يتهرب منى بهذه السهولة .. وأظن إنه تأكد من ذلك .. كان يحاول إكتساب الوقت لا أكثر ، وقلت له فى تؤدة : أصغ إلى يا صاحبى .. إننى لم آت هنا للعب فإن لدى فكرة معينة عن طريقتك فى العمل .. إنك مسئول عن إختفاء شيلا رامى قتلتها واحدى هذه الجماجم السبعة جمجمتها هى بالذات وأنت تستخدم هذه الجماجم فى عرضك بطريقة لا أفهما .. أن النسمة لا تطفىء تلك الشمعة أمس يا ترينكولو وإنما أنا الذى أطفأتها لكى أرى ما سوف يقع من رد فعل .. وقد وقع شيء فى نفس اللحظة التى أطفأة فيها الشمعة .. شيء شوش كل البرنامج .. وهذا يتطابق بطريقة غريبة ومنطقية فإن شيلا رامى إختفت ولديك دمية تشبهها وجها وصوتا .. ومن المحتمل .. ولا ريب أن المعمل يتمكن من إثبات كل ذلك .. ثم أن لديك جمجمتها .

نظر إلى فى هدوء .. وكانت عيناه باردتين كعينى ثعبان ، وقال :

- هل تدرك يا مستر لا نسنج ما فى قصتك هذه من غرابة ؟ .. وهل تدرك أنه ليس لديك أى دليل على ما تقول ؟

- ربما .. ولكن لا تنس المعمل يا صديقى .. إن فى الإمكان التوصل إلى نتائج كثيرة بواسطة المعمل .

لم يكن شديد الثقة بنفسه كما كان يتظاهر فإن الإشارة إلي المعمل أزعجته وقال :- ما هى نواياك يا مستر لانسنج .. هل تريد أن تأخذ كل جماجمى وتحاول أن تثبت إن أحداها هى جمجمة شيلا رامى ؟

- لو أن اليز لم تكن في المستشفى لفعلت هذا بكل تأكيد .. ولكنها تهمنى الآن أكثر من أية فتاة أخرى ، وكذلك تهمنى أكثر من سعادتى فى البطش بك ولهذا فإننى على إستعداد للتفاوض معك أرفع عن اليز السحر الذى ألقيته عليها فنغادر أنا وهى الجزيرة ونتركك وشأنك ..

لم يحاول التظاهر أو الخداع بعد ذلك لأنه قال : - هناك صعوبة .. لنفرض إننى فعلت كل ما تطلب منى ورفعت عن مس مارتيلون السحر فإن فى هذا دليل على إننى أمارس السحر ، وإننى إذا كنت قد مارسته ضد اليز مارتيلون فقد مارسته ضد شيلا رامى أيضاً .. وبهذا أكون قد أعترفت بأننى إرتكبت جريمة قتل يا مستر لانسنج ..

- قلت لك إننا سننسى كل شىء عن شيلا رامى .

- حتى إذا أنا إعترفت عملياً بأننى قتلتها ؟

فقد صبرى ودسست يدى فى جيبى وأخرجتها بمسدس شهرته فى وجهه وقلت :

- أفهمنى جيداً .. إذا كانت هناك جريمة قتل فهى تلك التى سأرتكبها الآن عن طيب خاطر ..

ولكننى لم أخفه كما كنت أرجو ، والحق أنه هو الذى أخافنى فقد قال : - توخ الحذر يا مستر لانسنج .. إننى أمسك بالفتاة التى تحبها فى راحة يدى وإذا حدث لى شىء فإننى سأتخلى عنها ، وإذا قتلتنى فإنها ستموت حتما .

تراشقنا النظرات لحظة طويلة .. كان ترينكولو قد بقى هادئاً وبارداً بخلافى أنا .. وكان بمقدورى أن أقتله فى هذه اللحظة كما لو كان حشرة حقيرة أو ذبابة ، وقد أدرك ذلك وأدركته أنا الآخر ولكننى قبلت الأمر فإن مصير اليز كان فى يده حقاً .

- إننا فى موقف لا مخرج منه يا مستر لانسنج .. قلت على الرغم منى : - يبدو ذلك .

- الديك إقتراح .. لا شيء فيما عدا الإتفاق الذى عرضته عليك ..

- إن هذا الإتفاق لا يرضينى يا مستر لانسنج .. لنفرض إننى رفعت السحر الذى القيته على مس مارتيلون كما تقول .. ستكونان طليقين وسيكون فى مقدوركما عندئذ أن تنقلبا ضدى ، ولن يكون لدى غير وعدك بأنك لن تفعل شيئاً وأنا رجل كهل يا مستر لانسنج وتعلمت أن لا أثق بأحد .

قلت : - أخشى إذن أن نبقى هنا حتى يوم الحشر .

وأخذت مقعداً وجلست أمامه مصوباً مسدسى إلى صدره فقال :

- إننى شديد الإعجاب بك يا مستر لانسنج فإنك وفتاتك تتمتعان بصفة عجيبة هى الإصرار .. وكل منكما شجاع وذكى وقد خمنتما سرى تقريباً كما خمنتما ما حدث لشيلا رامى ..

- ماذا حدث لها بالدقة إذن ؟

- سأذكر لك ذلك يا مستر لانسنج ، ولعنا ، إذا فهمت ، نستطيع أن نجد مخرجاً أو حلا لمشكلتنا .

تركته يتكلم ولم أقاطعه وإستطرد يقول : - لن أكشف لك جوهر سرى وساكتفى بأن أقول ماذا فعلت دون التعرض لكيف فعلت .. إن لدى مواهب فى السحر إكتسبتها شيئاً فشيئا من البلاد التى تنقلت فيها ، والذى أعرفه بعيد عن فودو هذه الجزائر وهاموية أوروبا وإستحضار الأرواح التى تمارسها بعض البلدان .. أنه تركيب يضم خلاصة كل ما فى هذه التجارب .. ولم إتعرض لكل هذا لمجرد المعرفة يا مستر لانسنج وإنما لغاية واحدة ..

وصدقته لأننى لمست فى صوته رنة صدق وإخلاص كبيرين ..

- إنني سليل أسرة كبيرة من الممثلين يا مستر لانسنج كل أفرادها طوال القامة ذو وسامه وجمال ، إلى أن أتيت أنا ، وأنت ترى حالتي .. لست قزماً ولا مسخاً تماماً ، ومع ذلك فأنا دميم الخلقة ومشوه لا أصلح للظهور أمام جمهور النظارة .. ولهذا السبب إشتغلت بعرض الدمى والعرائس ، وهذا حل جميل لأن عرض الدمى فن كبير ولكن للأسف .

وتحطم صوته وبقى لحظة صامتاً ولعله تذكر ذكريات حزينة لأن عينيه أغرورقتا بالدموع .. وقال أخيراً : للأسف لم أكن فنانا عظيماً . لم أكن فى مستوى مهمتى فقد أفتقرت إلى البراعة والإبداع الخلاق .. إن الممثل يقوم بالدور الذى يملى عليه .. أما عارض الدمى فيجب أن يقوم بكل الأدوار .. يجب أن يكون هو كل الممثلين فى نفس الوقت ، ولم تكن لى القدرة على ذلك .. وتملكنى اليأس وتمنيت أن أبيع روحى للشيطان فى سبيل الحصول على هذه المقدرة .

وطرفت عيناه لكى يبعد دموعه وبدا انها جفت على الفور وعادت النظر الخبيثة إلى عينيه وإستطرد :

- هل تفهم الآن يا مستر لانسنج ؟ .. لكى أصبح عارض دمى ناجحاً كان لابد من الحصول على شخصيات عديدة ، وأين أستطيع الحصول عليها إلا من أناس آخرين ؟ أرأيت كيف أن ممارسة الفن المسرحى حملنى منطقياً إلى ممارسة السحر الأسود ؟ .. تعلمت وجربت كل أسراره .. التنويم المغنطيسى فى بادىء الأمر فبواسطته أستطيع إستعارة أية شخصية مؤقتاً .. ولكن الإستعارة لم تكن كافية .. كان لابد لى من الإستيلاء التام .. كان على أن أسرق « شخصياتى » صدقنى ، إننى حاولت فى البداية أن أسرقها برفق وبدون عنف ، ولكن لم يكن ذلك بالأمر المستطاع .. كان لابد لى من القتل ، وكان يتعين على إنتزاع الروح من الجسد قبل أن يموت تماما .. هل تعترض يامستر

لانسنج على إستخدامى كلمة « روح » .. ولكنها التعبير الوحيد الذى مكننى إستخدامه مع ذلك .. وقد سرقت سبعة أرواح .. وهى تقيم الآن منفصلة عن أجسادها ، فى الجماجم السبعة ، وكل ما على هو أن أشعل هذه الشموع لكى تعود هذه الأرواح إلى الحياة بأشخاصها الأصلية وتقدم العابها وتتكلم من خلال شفتى فإن الخيوط التى أحركها تهبط إلى أعماق مملكة الموت .

صدقته ، فقد كانت اليز فى مستشفى سانتو كريستوفرو ، ولهذا كان لابد لى من أن أصدقه .. وسألته :

– وهذا هو نفس ما تحاوله الآن مع اليز ؟ .. تريد أن تقتل جسدها وتسلبها روحها ..

هز كتفيه وقال : فى الليلة الماضية ، وأنا مستلق فى فراشى ومس مارتيلون تتقلب فى فراشها فى فندق الكازا دلمار درست روحها جيداً ، وأنا لا أريدها الان إن صديقتك جميلة يا مستر لانسنج ولكنها ليست بذات أهمية بالنسبة لى ولا أهتم بها الآن إلا حفاظا على حياتى ..

كان يمكننى مناقشته فى هذه النقطة ولكننى لم أشأ المجازفة بتحريك شهيته لها وإستطرد هو يقول : وأصل الآن إلى التسوية التى يمكن أن نعقدها معاً فقد إستقر رأيى أخيراً على أن روحك هى التى أريدها ..

صحت فى ذهول : – روحى أنا ؟

– أنت رجل فريد يا مستر لانسنج ... ذو روح منطلقه ، ثم إنك شاب قوى ووسيم وموهوب ، وواسع الحيله والخيال .. ومع ذلك فإنك آثرت أن تترك حضارتكم وأن تعيش فى هذه الجزيرة هذه المعيشة البسيطة .. سيكون لك دوراً رئيسى فى مسرحى ..

تملكنى الخوف والذهول معاً ولكننى أجبته بعنف : – تريد أن تستبدل روحى بروحها إذن ؟ – نعم ..

– كيف أتأكد إنك لن تحاول أن تأخذ روحينا فى نفس الوقت ؟

إبتسم ترينكولو وبسط ذراعيه إلى الأمام وقال : -لأن هذا محال ، فلو أنه كان فى إستطاعتى أن آخذ روحيكما معاً لفعلت بالأمس .. تذكر إنك شربت ، أنت أيضاً ، من ذلك الشاى الممزوج بالروم ولم يصبك شيء لا أستطيع الإستيلاء إلا على روح واحدة كل مرة .. وهذا العمل وحده يقتضى منى أياماً كثيرة وأحياناً أكثر من أسبوع ، إذا كانت الروح قوية ومقاومة ، وأعتقد أن روحك من هذا النوع .. يجب أن أركز كل إهتمامى على الروح التى أريدها وأن أستخرجها من جسدها قبل أن يسبقنى الموت إليها .. وروحى أنا لايمكن إلا أن تكون فى مكان واحد آخر فى لحظة معينة .. إنها معركة أخرج منها دائماً ظافرا يا مستر لانسنج لأن روحى هى الأقوى .. هل تفهم ؟

فكرت لحظة فى صمت وقال ترينكولو : – حسناً يامستر لانسنج .. أن مسدسك يمكن أن يمنعنى عن إستخراج روح مس مارتيلون ، ولكن إذا أنا مت فإنها تموت هى الأخرى كما قلت لك ..

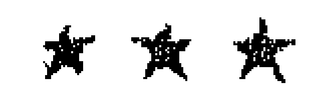
لم تكن صفقة طيبة طبعاً ولكن لم تكن لى حيلة ولم يسعنى إلا أن أقول : – إتفقنا ..

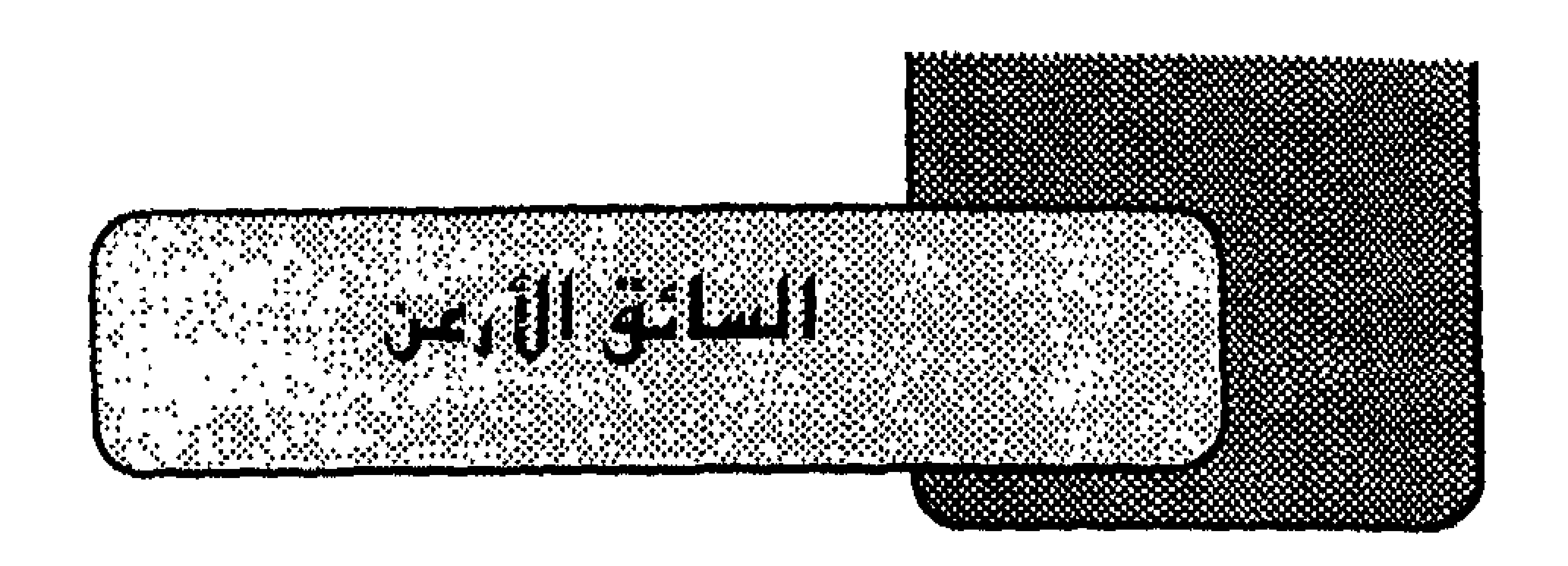
إبتسم ترينكولو إبتسامة عريضة وقال : – هل تريد أن نناقش التفاصيل ونحن نتناول كأساً من الروم .

رافقت اليز إلى المطار بعذ ذلك بيومين .. ورأيت طائرتها تنطلق فى رفق وتحلق فى الجو وتغدو نقطة صغيرة قبل أن تختفى نهائياً نحو الشمال .

وجدت عنوان اليز فى دليل تليفون مدينة مانهاتن فأخذت سيارة أجرة إليه .. كانت تقيم فى مسكن بسيط مما يدل على أنها تمر بضائقة مالية وإنها لم تنجح فى عملها بعد ، وقد كنت من الأنانية بحيث اغتبطت لذلك .. وصعد بى المصعد إلى حيث مسكنها وطرقت الباب ..

وجائني صوتها من خلف الباب وهى تسأل فى ضعف من الطارق ؟
وأثارني صوتها ، فلم أكن قد سمعته منذ وقت طويل ، ولمست رنة الإنفعال فيه كانت خائفة . مسكينة اليز ! لم تنس جزيرة الفوبو بعد .
وأجبتها أقول : – أنا بيت لانسنج ..
وسمعت خطواتها وهى تسرع نحو الباب ووثب قلبى بين ضلوعى من الفرح .. كانت تخاف أن تفتح الباب لأى أحد ولكنها ستفتحه لى أنا ..
وصاحت :– إننى قادمة يا بيت ..
وإنفتح الباب ولكن بمقدار سنتيمترات قليلة لأنها كانت قد وضعت سلسة الأمان ونسيت أن ترفعها فى لهفتها .. وتبادلنا النظر لحظة خاطفة من خلال الفتحة الضيقة التى سمحت بها السلسلة ورأيت إبتسامتها تختفي والشحوب يعلو وجهها وقالت لاهثة : – ترينكولو ! ..
وصفقت الباب قبل أن أتمكن من إيقافها وسمعتها تضع المزلاج ..
وصحت : – كلا .. إنك لا تفهمين يا حبيبتى اليز .. صحيح أنه جسد ترينكولو ولكن الواقع إنه أنا .. بيت لانسنج .. أنه قتل جسدى وحاول أن يسلبنى روحى ولكننى كنت أقوى منه فسلبته روحه ..
ولكن كيف يمكن أن أشرح مثل هذا الأمر خلال باب مغلق لإمرأه مذعورة لا تريد ولا تستطيع أن تسمع ..
وهبطت السلم وأنا آسى محزون وخرجت إلى الشارع وأخذت أمشى مدة طويلة وأنا غارق فى الأفكار .. كنت أحب اليز وكنت أريدها ، ولم أكن لأستطيع أن أعيش بدونها ولكن كيف أستطيع الوصول إليها بجسد ترينكولو ..
هناك طريقة بالطبع .. طريقة ترينكولو !





كان الظلام قد بدأ ينتشر ، وراحت الخيوط البيضاء تتضاءل أمام الخيوط السوداء،وأخذت أغلب السيارات تستخدم مصابيحها ، ولكن هارى إيفانس لم يخطر له إضاءة مصابيحة بعد .

لم يخطر له أن يفعل ذلك ، وما كان فى مقدوره أن يفعل دون أن يضطر إلى رفع يديه عن عجلة القيادة لإدارة مفتاح النور .. كانت سيارته من نوع أوتوماتيكى وكانت منطلقة كالغزال المذعور الذى يفر حين يشم رائحة الرجل .

كان إيفانس منطلقاً بسرعة ١١٠ كيلو مترا ، وكان قد ظل محتفظا بهذه السرعة طوال الجزء الأكبر من فترة الأصيل .. وقد خشى أن يتجاوزها خوفاً من شرطة المرور الذين يختبئون خلف لوحات الإعلانات وخلف الجدران ، وراح يحدق فى الطريق الذى أمامه وهو يحاول أن يتناسى المرآة العاكسة ، فإن إنعكاس الأنوار الحمراء التى تنبعث من بعض الحانات التى تقع على جانبى الطريق كانت تكفى لكى تملأه رعباً ، ولكى يضغط على مفتاح السرعة .

نعم ، كان ذلك أمراً مؤكداً كان على يقين من ذلك لقد أصبح قاتلا ، فإن الجثة لا ريب إنها موجودة الآن في المشرحة ، على مسافة ثلاثمائة كيلو مترا خلفه أو لعلها ترقد الآن في إحدى المؤسسات المخصصة لدفن الموتى .. ولعل هناك الآن نساء تجفف دموعها وهي تطهى الطعام للأرملة المفجوعة وللاولاد اليتامى ، ولاريب أن وجوه الرجال تقطر حقداً وغلا ، فهكذا الأمر دائماً عندما يقتل أحدهم رجلا .. كان أيفانس يستطيع أن يتذكر ذلك فقد عاش هذه التجربة منذ حداثته .

عرف الحقد والخوف طوال حياته . عرفها بعد أن أقدم أبوه على القتل هو الآخر عقب مشاجرة في أحد البارات ، وقد راح بعض الرجال يحومون بالبيت بعد ذلك ولكن لم تكن لهم أيه فائده بالنسبه له لا عطف ولاحب ولا مال .. ولا صديقات ولا أى إحترام .. ومع ذلك فإن لك الحق في شيء من كل هذا حين تكون في العشرين من عمرك .

وصاح يخاطب رجل البوليس الذى يراه في مخيلته في حين راح العشب والمزروعات الخضراء يضيع أثرها خلفه ..

– ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد .. أردت أن أكون شخصاً ذا أهمية فحسب .. لم يكن في نيتى أن أقتل .. كل ما كنت أنشده هو النقود لا أكثر ..

لم يجبه رجل البوليس .. وإندفعت السيارة في الطريق .. يلفها الظلام .. وهز إيفانس كتفيه الضيقتين تحت سترته الجلدية السوداء وقال : – إنما وقع ذلك قضاء وقدراً .. وهذا كل شيء ..

وإستمر في تفكيره فقال : – لو أن الرجل لم يتحرك لما حدث أى شيء . ولا ريب أنه أصيب بمس من الجنون

وقد حاول إيفانس أن يفرغ من الأمر سريعاً ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ ... نزهة فى عربة كبيرة سوداء ... ولكن لابد من الهدوء ... يجب أن ينطلق بسرعة مائة وخمسة عشر كيلو مترا فإنه بهذا يسرع ، ومع ذلك فإن راديو البوليس أسرع .

كان هواء الليل البارد يتسرب من النافذة المنخفضة ، ولكن إيفانس كان يتصبب عرقا . والتصق قميصه بابطيه وهيج جلده . وسرت الرعشة فى بدنه وتوتر جفنه الأيسر فى عصبية . ربما تنشر الصحف صورته إذا ألقى رجال البوليس القبض عليه . وحاول أن يبتسم .

وذابت أمامه الشوارع المختلفة فى شارع واحد تقوم البوم على جانبيه . وإنبعث من النوافذ نور أصفر وراحت سيارته تقطع شريط الأسفلت الضيق . وكان يريد أن يبطىء ولكن قدمه لم تطاوعه . وكان لا يزال أمامه بعض الوقت فإن الطريق الكبير العام لا يبدأ حقاً إلا بعد نحو ثمانمائة متر .

ولكن لم يلبث أن ظهر أمامه شبح فجأة . وسمع ايفانس نباح كلب . وتوترت يداه شيئاً ما على عجلة القيادة . وقال يحدث نفسه لو أنه داس هذا الكلب فإن الغلطة ستكون غلطته . وإندفع محنقاً محدودب الظهر .

ولكن ذلك الشبح الغامض الذى تواجد فجأة أمام السيارة لم يكن كلباً .

ولمدة لحظة وجيزه رأى ايفانس تنورة قصيرة وساقين صغيرتين عاريتين وذراعين ثم وجها . وجها كانت لا تزال ترتسم عليه إبتسامة لم تكن قد وجدت الوقت بعد لكى تتحول إلى نظرة فزع .

وصدمت مقدمة السيارة الطفلة الصغيرة صدمة صماء دفعت بها فوق غطاء السيارة ممدودة الذراعين متوتره الساقين ، وتطايرت تنورتها مع الريح ، ثم لم تلبث أن وقعت على حافة الطريق وإختفت عن عينى إيفانس .

وفى اللحظة التى صدم فيها الطفلة رفع قدمه بحركة غريزية عن دواسة البنزين لكى يدوس على الفرامل ، واحدثت العجلات صريراً قوياً وإنبعثت فى الجو رائحة كاوتشوك محترق . وتوقفت السيارة فى عنف ، وإسابت جانبيا ، وتوقفت أخيراً فى غرض الطريق .

وجد إيفانس صعوبة شديدة فى جمع أفكاره . وحاول أن يبلل شفتيه ، ولكن لسانه كان جافاً . وأحس بركبتيه ترتعشان ، وراحت عضلات فخذية ترتجف .

ياللحظ السيىء ! لقد صدم طفلة كانت تجرى فى الطريق خلف كلبها ! أكان لابد أن يصل إلى هذا المكان فى هذه اللحظة بالذات ؟ .. ولماذا هو دون غيره ؟ لن يصدق أحد أبدا أنه غير مخطىء . وإن لرجال الشرطة طريقة عجيبة فى تكييف الأشياء . أن من يقتل لا يحجم عن القتل ثانية . يجب أن يبتعد عن هذا المكان حالا .

عندما أحس بأنه صدم الطفلة أوقف المحرك فجاة فتوقفت السيارة فى عنف . وعندما رأى أن من الخير له أن يبادر بالفرار أطلق المحرك من جديد فإندفعت السيارة إلى الأمام ، ولكنها عادت فتوقفت ، ذلك إنه كان قد نسى أن يغير من وضع مؤشر السرعة عندما وقف فجأة . وعاد

يقول لنفسه : يجب أن تفكر ... وراح ينظر حوله وقد تملكه الذعر ليس هناك أية سيارة فى الطريق . وكان هناك ، خلفه بقليل ، وعلى جانب من الطريق كتلة مظلمة ، بدت على ضوء نور أصفر منبعث من نافذة أشبه بكتلة من الثياب القذرة راح الكلب يتشممها وهو يهز ذيله . وحول إيفانس عينيه .

وسمع عندئذ أصواتا ... ونداء ، صرخة فى جوف الليل . « جين »

وعلى الفور أدار المحرك ، وإنطلق كالعاصفة لاتنفعل فكر ولا تسرع

كان يمضى الآن فى الطريق العام . وكانت هناك بعض المحلات على الجانبين واجهاتها مظلمة . ولكن كانت هناك محطتان للبنزين كان النور لا يزال ينبعث منهما ، وبضع سيارات تنتظر بجوار الافريز ... وكان الوقت وقت تناول العشاء .

وظهرت ثلاثة سيارات أخرى كانت آتية من الناحية المضادة . كانت تنطلق أحداها خلف الأخرى ، ولم يكن بأى منها نور أحمر وهاج . ولم ينبعث من أى منها صوت السرينة ، ومع ذلك فقد أبطأ ايفانس حتى لا يثير الشبهة ، وضغط بأصبعه على عينه اليسرى التى لم تكف عن الإهتزاز .

وراح قلبه يدق بشدة وهو ينعطف فجأة إلى اليمين ، فى زقاق يقع بين مصنعين ، لم يكن به أى ضوء ... كان الظلام حالكا . وأوقف ايفانس المحرك .

كان على يقين من أن أحدا لم يره وهو يدخل الزقاق . وما عليه الآن إلا أن ينتظر . كانت هذه حركة بارعة منه حقاً ، فإن الجميع سيعتقدون

أنه استمر فى طريقه إلى الأمام محاولا مغادرة المدينة وإن رجال البوليس سينطلقون فى أثره بكشافاتهم الحمراء التى تبدد ظلمات الليل وبأبواقهم المدوية .

ما أغبى رجال البوليس ! ... ما عليه إلا أن ينتظر حتى يرى سياراتهم المزودة بالراديو تمر فى آخر الزقاق ثم يعود إلى الشارع ويعود من الطرق الذى جاء منه حيث صدم الطفلة الصغيرة ثم يمضى بعد ذلك إلى المدينة المجاورة فهى أكبر من هذه القرية الصغيرة وسيتيسر له أن يختفى فيها . وكتم ضحكة بدت أشبه بالعويل .

أنه لم يرد بالطفلة أى شر إنما كان حادثاً وقع قضاء وقدراً سوء الحظ لا أكثر ثم أنه لم يشأ أن يقتل أحدا إن كل ما كان يبغيه إنما قليل من النقود ، لكى يتمكن من قضاء وقت ممتع ، ولكى يحس بأنه أصبح شخصاً له أهميته ، فإن المرء لا يكون شابا غير مرة واحدة . يجب أن يعيش كل امرىء وإن يتمتع . لماذا لم يكتف هذا الأحمق بأن يعطيه النقود ؟ عندما يشهر شخص مسدساً فإن الناس يجب أن ترهب جانبه ، وحتى الأغبياء مفروض ان يتملكهم الخوف عندما يرون مسدساً فى يد أحد .

لقد قال له : - إننى لا أمزح أيها السيد . إذا تحركت ... ولكن ذلك الأحمق إندفع نحوه ، ولم يكن فى نية ايفانس أن يضغط على الزناد أبداً ، وقد إنطلقت الرصاصة وحدها ... وسرت الرعشة فى جسده من جديد عندما تذكر ذلك .

ودوت سرينة فى الشارع . ولوى ايفانس جسده النحيف لكى يستطيع أن يرى من النافذة الخلفية للسيارة .

ودوى صوت السرينة فى الزقاق وإرتد صداها بين جدران المصنعين.وإخترق النور الأحمر الظلام لحظة،وإنطلقت سرينة أحرى أشد قوة من الأولى ، ومر نور أحمر آخر ثم تلاشى الصوت بعيداً .

وسرت الرعشة في بدن إيفانس وهو ينطلق من جديد.. وخرج من الزقاق ومضى إلى الشارع وإنعطفت إلى اليمين فى أول شارع صادفه متجهاً إلى الطريق العام ثم إنعطف إلى اليسار عائداً من حيث أتى .

وكان الناس قد خرجوا الآن من بيوتهم ، وراح بعضهم يجرى ، وصدى وقع خطواتهم تردده جدران المنازل .. ورأى ايفانس ، على ضوء النور الأبيض المنبعث من مصباح سيارة البوليس جمعاً من الناس ، وكانت الأنوار الحمراء تدور ورجال الشرطة في كل مكان ، كما كانت هناك عربة إسعاف ، ولا ريب إنها قدمت من المدينة المجاورة .. وكان بوقها قد توقف لتوه .

وكان هناك شرطي يمسك مشعلاً ، ويدير حركة المرور .. وأشار لسيارتين كانتا تتبعان عربة الأسعاف ، وراح ضوء مصباحه الكهربائى يرقص فى جوف الليل

ولم يكن ايفانس يبعد عن ذلك الشرطي بأكثر من عشرة أمتار .. لم يكن يحتاج إلى اكثر من الجرأة ، وما أن يمر حتى ينجو .

وتحول الشرطي إليه .. وأضاء نور مصباح مقدم السيارة التى يعلوها الغبار ، وبهر عين ايفانس .. وصاح الشرطي ببضع كلمات ، فتجمد الدم فى عروقه وتوترت أعصابه ..

وصاح به الشرطي من جديد ، وفهم ايفانس أخير : – مصباحك !

وأسرع فأدار المفتاح بأصابعه المرتعشة ، فإنبعث النور من المصباحين الأماميين ، وأضاءا الطريق أمامه .

وصاح به الشرطي في غضب ، وهو ينحني بجوار باب السيارة من ناحية ايفانس : – هل ترى ان تقتل الناس .

هز ايفانس رأسه ، وحول الشرطي نور مصباحه في فروغ صبر وقال : – هيا .. أمض في طريقك .

مر ايفانس بين الجموع المحتشدة في بطء .. كان الباب الخلفي لسيارة الإسعاف مفتوحاً ، وكان هناك رجال يرتدون ثياباً بيضاء يخروجون منها مجفة .. وأجبر نفسه على أن ينظر إلى الأمام ..

وعض شفته السفلي بقوة بحيث إنغرزت أسنانه فيها ، وسال منها الدم دافئاً فوق ذقنه .. كان يعرف أن الشرطي سيصيح من جديد وإن كل شيء سوف ينتهي عندئذ ، ولن يبق عليه إلا أن يطلق المسدس للمرة الأخيرة .. وقال متوسلاً وهو لا يخاطب أحداً بالذات .

– أرجوك .. لاتدعه يلقي القبض علي .

وإتسع الطريق أمامه وتشعب . وتألقت احدى لوحات تحديد السرعة على اليمين .. وإمتد أفق أسود تحت سماء تنتشر بها النجوم .. الريف .. والطريق العام .. والسرعة .

لا تتجاوز مائة وخمسه عشر كيلو مترا .. قال يحدث نفسه بذلك .. إنهم لن يلقوا القبض عليك أن أنت إنطلقت بطريقة عادية كما يفعل

الجميع .. ولكنـه لم يلبث أن أدرك أنه لن ينجو إلى الأبد .. أدرك ذلك عن يقين مريع .. إن الخطر قد تخلى عنه ، فإن ذلك الشرطى اللعين لن يلبث أن يفكر .. وأوشك أن يبكى وإنتظر سماع صفارة البوليس .

وإرتفع صوتها .. ضعيفاً فى بادىء الأمر .. ومن بعيد جداً .. خلفه فى جوف الليل .

ولم يسمعها فى البداية لأنه كان يبكى .. ولكن عندما تناهى صوتها إلى أذنيه رفع رأسه فجأة ، وتشبثت عيناه اللتان يغشاهما الدموع بالمرآة العاكسة .. ولم يلبث أن رأى المصباحين الأماميين ثم المصباح الأحمر المعروف فوق سطح السيارة التى تتبعه من بعيد .

داست قدم ايفانس على جهاز السرعة ، فإرتفع المؤشر إلى مائة وعشرين ثم إلى مائة وثلاثين حيث راح يهتز إذا لم يكن فى مقدور السيارة الأسراع أكثر من ذلك .

وملأ دوى الصفارة أذنيه ، وأخذ يطن فى رأسه ، ولم يستطيع أن يبعد عينيه عن المصابيح الثلاثة التى تعكسها المرآة .. سوف يطلقون النار عليه حتماً .

وأطلق صرخة .فإن الهزة التى أحس بها عندما إندفعت عجلات السيارة فوق المنحدر المعشوشب أرغمته أن يحول عينيه عن المرآة العاكسة أخيراً .. ولكن لم يكن فى مقدوره أن يفعل شيئاً عندئذ ، فإن مؤخرة السيارة إرتفعت فى الفضاء ثم هوت السيارة بمقدمتها على الأرض فتحطمت ، وإنقلبت فى حقل على جانب الطريق وطار أحد أبوبها فى الهواء .

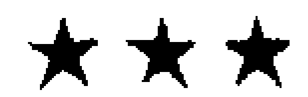
وعندما هدأ كل شىء ، كان جسد ايفانس يتدلى من أطار الباب .

وكانت رأسه ملتوية ناحية الطريق .

وكان آخر شيء رآه قبل أن يموت هو السيارة التى هرب منها ، ورأى على سطحها عندما توقفت النور الأحمر ، وكان لا يزال متألقاً .

كانت سيارة إسعاف .

وسكتت الصفارة فى نفس الوقت الذى لفظ فيه ايفانس روحه ، ولكنها لم تلبث أن دوت من جديد بعد أن نقلت الجثة إلى السيارة ، ووضعت بجوار الطفلة .. وكانت هذه الأخيرة لا تزال تتنفس عندما إستأنفت سيارة الإسعاف طريقها إلى المستشفى الكبير بالمدينة المجاورة ..



القاهرة الحديثة للطباعة
أحمد بهى الدين الخربوطلى
٣ شارع الجد بالفجالة
تليفون ٩٢٤٣١٠



السعر : ٢٠٠ قرش